شعراء قتلتهم أشعارهم



مكتبة جزيرة الورد ★ إعداد : فتحى محمد هاشم

الطبعة الأولى

مكتبة جزيرة الورد - المنصورة
☎ ٢٢٥٧٨٨٢


بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا الكتاب

خمسة عشر شاعراً من شعراء العرب .. على رأسهم المتنبي .. أشعر شعراء العرب وأشهرهم بلا منازع .. قتلوا جميعا بسبب أشعارهم !

بعضهم قال قصيدة هجا بها وزيراً أو خليفةً أو والياً أو صاحب شأن واعتبار .. أو قاطع طريق ! .. فكانت قصيدته سبباً في قتله .

وبعضهم قال عدة أبيات فقط ، وبعضهم قال بيتاً شعرياً واحداً ، لكنه كان جارحاً وبذيئاً ومؤلماً بما يكفي لكي يكون سبباً في هلاك صاحبه .

... موضوع شيق .. جدير بالقراءة ، نرجو أن نكون قد وفقنا في عرضه واختياره ، آملين أن نضيف به جديداً لثقافتك - عزيزي القارئ ونضيف به شيئاً ذا قيمة للمكتبة العربية ،

فتحي محمد هاشم



ابن الرومى

ابن الرومى

ولد " أبو الحسن على بن العباس بن جريح " المعروف بابن الرومى فى بغداد سنة ٢٢١ هجرية ، وهو رومى من ناحية الأب ، وفارسى من ناحية الأم .

مات أبوه وهو ما زال صغيراً فكفلته أمه وأخ أكبر منه ، تردد فى صباه على النوادى والمحافل الأدبية فى بغداد فعرف من خلالها الثقافة العربية وتعرف على الشعر العربى قديمه وحديثه ، حتى برع فيه ، واتخذه وسيلة للتكسب والعيش . فمدح الوزراء وكبار رجال الدولة العباسية ونال عطاءهم ، وابتسمت له الدنيا ، إلا أنها سرعان ما عبست له وجعلته مُحبطاً ، فماتت أمه ، ومات أخوه وهما من كانا يكفلانه بشكل أساسى . ولما تزوج وأنجب أطفالاً ، سرعان ما عصف بهم القدر واحداً وراء الآخر ، ثم ماتت زوجته أيضاً ، لتتركه وحيداً ، وليزداد إحباطاً فوق إحباطه .

وربما كانت تلك الظروف ، هى التى جعلته يتحول فى شعره إلى الهجاء ، ويصبح هجاءاً ساخراً ، يجيد تصوير العيوب الجسدية والمعنوية لمن يهجوهم تصويراً مضحكاً .

أيضاً لعبت نرجسيته ومزاجه العصبى ، ونفسيته المتوتره

على الدوام دوراً كبيراً فى تحوله الشعرى نحو الهجاء .

ولقد نشبت بين ابن الرومى وبين كثير من الناس فى عصره خصومات كلامية ، استخدم فيها سلاحه الفتّاك ضدهم ، ألا وهو الهجاء .. ويكاد لا يسلم أحد ممن مدحهم ، إلا ونال حظه من هجائه اللاذع فيما بعد .

فنجده يمدح من يعرفهم من القواد والوزراء ، إلى أن يبدر منهم إهمال بسيط له أو تقصير غير مقصود ، فيندفع إلى هجائهم .

وطول حياته لم يستطع أن يحتفظ بعلاقة حسنة بوزير أو بابن وزير .

ونظراً لأنه قد عاصر أكثر من خليفة من الخلفاء العباسيين ، منذ عهد المعتصم إلى عهد المعتضد ، فقد تناوبت علاقته بالمسئولين من الوزراء والقادة والموظفين الكبار بالدولة بين مد وجزر عدة مرات .

من بين مَنْ هجاهم ابن الرومى ، كان آل وهب الذين لعبوا دوراً بارزاً فى الحياة السياسية فى العصر الذى عاش فيه .

ونهايته المأساوية كانت على يدهم ، على الرغم من أن علاقته بهم فى البداية كانت طيبة .

فقد كان عبيد الله بن سليمان بن وهب ، أحد الوزراء العباسيين البارزين ، يعطف عليه ، ويجزل له العطاء ، كلما امتدحه .

وفعل القاسم بن عبيد الله نفس فعل أبيه ، بعد ما خلفه فى الوزارة .

إلا أن ابن الرومى ، كان كثير الشكوى ومُلِحًّا فى طلب

العطاء ، لذلك ضاق منه القاسم وحاول إبعاده .

فأخذ ابن الرومى يعاتبه فى بادئ الأمر بقصائد وأشعار تتضمن عتاباً أخوياً رقيقاً ، منها :

يا أخى أين عهد ذاك الإخـاء ؟ أين ما كان بيننا من صفاء ؟

كشفت منك حاجتى هفوات غطيت برهة بحسن اللقاء

تركتنى ولم أكن سيء الظن أسيء الظنون بالأصدقاء

ولما أثقل عليه بالعتاب ، منع عنه عطاءه ، فهجاه هجاءً لاذعاً ، كما هجا جارية مغنية له اسمها (شنطف) ، كان قد سمعها يوماً تغنى . قال فى هجائه :

وإن سكوتها عندى لبشرى وإن غناءها عندى لمنعى

فقرطها بعقرب شهرزور إذا غنت وطوقها بأفعى

كذلك هجا كاتب القاسم ، الذى كان يمنعه من الوصول إلى القاسم ، هجاه بقصائد تقطر سماً زعافاً . مما جعل ذلك الكاتب يشعل نار الحقد فى صدر القاسم ، ويؤجج فى نفسه الضغينة ضد ابن الرومى .

وذلك كله هيّأ الجو لتدبير عملية اغتيال لابن الرومى بالسم ! إذ كلّف القاسم أحد أعوانه بأن يدس السم له فى طعامه.

وقد ذكر ابن رشيق القيروانى فى كتاب العمدة : أن عبيد الله ابن سليمان بن وهب (والد القاسم) هو الذى أشار على ابنه القاسم قبل وفاته أن يقتل ابن الرومى ويتخلص منه بسبب كثرة هجائه وبذاءته .



أبو العبدْ

أبو العِبَرْ

ينتهى نسب "أبو العبر" إلى العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ . عاش فى زمن الخليفة العباسى المتوكل وكان مقرباً إليه .

كان فى شبابه شاعراً معتدلاً ، جيد الشعر .. ولما تقدمت به السن وصار شيخاً ترك الاعتدال والجد واتجه (فى شعره) إلى الهزل والحمق ، حتى أن تاريخ الأدب العربى لم يعرف شاعراً أحمق منه ! .

يرى بعض من عاصروه أن الحمق والفسق الذى كان يبدو فى شعره ليست صفات متأصلة فيه ، وإنما كان يفتعلها للكسب بعد أن رأى أشعار أبى تمام والبحترى وغيرهما من كبار الشعراء ، والتى تتميز بالرصانة والجد لاتفيد شيئاً ولاتحقق ثراءً ، بل ربما كانت سبباً فى فقر وسوء حال أصحابها .

سأله أحد أصدقائه يوماً عن شعره وعن الألفاظ الغريبة التى يأتى بها فى أبياته ، فقال له :

– أبكِّر فى الصباح ، فأجلس على الجسر ، ومعى ورقة وريشة ومحبرة ، فأكتب كل ما أسمعه من كلام الغادى والرائح حتى أملأ الورق من الوجهين ، ثم أقطّعه وألصقه مخالفا ، فيجىء كلام ليس فى الدنيا أحمق منه .

ويبدو أن أبا العبر قد أعيا المتوكل أمره ، ولم يستطع معاقبته على سلوكه وعلى حمقه ، لقرابته منه من جهة ، ولأنه

كان يظنه مجنوناً من جهة أخرى .

لذلك كان يضعه فى المنجنيق ويقذفه فى ماء الفرات ، فكان إذا ارتفع فى الهواء ، صاح : الطريق الطريق .. جاءكم المنجنيق .

ثم يرتطم بسطح الماء ، ثم يغطس فيه ، فيخرجه السباحون قبل أن يغرق .

وفى أحيان أخر كان المتوكل يأمر رجاله بوضعه على زلاّقة فينحدر فيها حتى يقع فى بركة ، ثم يأمرهم بإخراجه فيطرحون شبكة ويصطادونه بها ، وفى ذلك يقول :

ويأمـــر بـــى الملك فيطرحنى فى البـرك
ويصطادني بالشبك كـأنى مـــن السمك
ويضحك كك كـك كـــك ككـــــــك

****

حبسه إسحاق بن إبرهيم المصعبى ، بسبب حماقته ، وبينما هو فى محبسه ، صاح فى الحرس : أخرجونى .. أخرجونى ، عندى نصيحة لإسحاق .. أخرجونى سريعاً .. فأخرجوه . فقال له إسحاق : هات ما عندك . فقال له : وهل تُؤمِّننى ؟! .. **فقال إسحاق : قد أمّنتك !**

فقال له : الكشكية أطال الله عمرك وأصلح بالك لا تطيب إلا بالكشك ، فضحك إسحاق وقال: هو والله مجنون.

فقال أبو العبر : لا.. بل قل امتخط حوتاً . فقال إسحاق : ما تقصد بقولك امتخط حوتاً ؟! فقال أبو العبر : زعمتَ أنى مججت نوناً وما فعلت إلا امتخطتُ حوتاً !

(فكلمة مجنون قسّمها أبو العبر إلى قسمين أولهما : مج ، ويرادفها امتخط . وثانيهما : نون ، ويرادفها حوت .)

ففهم إسحاق ما قاله ، فابتسم وقال : أظن أنى فيك مأثوم . فقال له أبو العبر : لا .. ولكنك فىَّ ماء بصل .

فصاح إسحاق : أخرجوه عنى إلى لعنة اللّه ، على ألا أراه فى بغداد يوماً واحداً ! .

والغريب فى أمر أبى العبر ، أن له أبياتاً فى الفخر ، سجّلها له الرواة ، تدل على أن قائلها صاحب نفس أبية عزيزة يصعب عليها أن تتحول إلى الهزل وإلى الحمق بهذا الشكل طلباً للمال ، من هذه الأبيات :

وإذا ما الدهر ضعضعنى لم تجدنى كافر النعم
قنعت نفسى بما رزقت وتناهت فى العلا هممى
ليس لى مال سوى كرمى وبه أمنى من العدم

.. أما عن مقتله ، فيقول الرواة ، إن أبا العبر كان شديد البغض لعلى بن أبى طالب - كرم الله وجهه ، وله فى هجاء العلويين أشعار كثيرة ، غاية فى القبح ... وكان معروفاً عنه ذلك ، وذات يوم خرج مع جماعة من أصحابه ليتنزه فى الكوفة - والكوفة موطن شيعة على بن أبى طالب - وطلب منه أصحابه أن يسمعهم بعضاً من شعره ، فقال شعراً قبيحاً فيه سب لعلى بن أبى طالب ، فسمعه أحد الكوفيين ، فاستحل دمه ، وتربص له ، إلى أن تمكن من قتله .



أبو نخيلة

أبو نخيلة

مدح أبو نخيلة (أو يَعْمُرُ بن زائدة) كل مَنْ آلت له الخلافة على أيامه ، فمدح الأمويين ، كما مدح العباسيين ، وحين مدح بني عباس ، بعدما انتهى الأمر إليهم ، كان طبيعياً أن يهجو بني أمية ، حتى يرضى عنه العباسيون ! . .

وإذن فهو كان حريصاً على أن يمدح كرسي الخلافة ، وليس الجالس عليه .

قبل أن يسعى إلى لقاء الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ، والمثول بين يديه ومدحه بإحدى قصائده الشعرية ، قصد رجلاً من المقرَّبين إلى الخليفة وسأله عنه ، فأخبره الرجل بأن الخليفة شديد البأس ، إذا مدحه أحد وخلط مدحه بطلبٍ حرمه طلبه ! ولذلك نصحه الرجل بألا يقرن مدحه بطلبٍ ، وحدد له موعداً يدخل فيه على الخليفة ليمدحه .

ولما حان الموعد ، وقف أمام هشام بن عبد الملك وأنشد :

لما أتتنى بغية (١) كالشهد — والعسل الممزوج بعد الوقد (٢)

يابردها لمشتف بالبرد — رعت من الجمال مسمغد (٣)

وقلت للعيسى (٤) اعتلى وجدى — فهى تخد أبرح التخدى (٥)

كم قد تعسفت (٦) بها من نجد — ومجرهدٍ بعد مجرهد (٧)

إلى أمير المؤمنين المجدى (٨) — رب معدٍ وسوى معدٍ

في وجهه بدر بدا بالسعـــد   أنت الهمام القرم (٩) عند الجد

ولما انتهى من إنشاده استرق النظر إلى وجه هشام ، فرآه منطلقاً ، فهّم أن يسأله حاجةً له فتذكر قول صاحبه ، فسكت وخرج ، وبعد أيام فوجئ بمن يدق باب بيته ويعطيه كيساً من الدراهم هديةً من الخليفة . وبعد ذلك صار من المقربين إليه .

وبعد أن زالت دولة بنى أمية من الوجود وحلّت محلها دولة بنى عباس ، كان على أبى نخيلة أن يطرق باب الخليفة العباسى ويمدحه إذ إن سكوته عن مدح العباسيين ، بعدما مدح بنى أمية أو بنى مروان على وجه التحديد - يعتبر هجاءاً لهم أو عدم ولاء !

لذلك دخل أبو نخيلة على أبى العباس السفاح مؤسس دولة بنى عباس ، وسلم عليه ودعا له وأثنى واستأذنه فى الإنشاد ، فسأله أبو العباس : ومن أنت ؟ فقال له : عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة .

فقال : لا حيّاك اللّه ولاقرّب دارك يا نضو السوء .. ألست القائل فى مسلمة بن عبد الملك بالأمس ؟ :

والله لولا أنى قد أمّنت نظراءك لما ارتد إليك طرفك حتى أخضبك بدمك .

---

(١) بغية : مطلب
(٢) الوقد : حر الظمأ
(٣) المسمغد : الطويل القوى
(٤) العيسى : الجمال
(٥) تخذى : تسرع
(٦) تعسفت : تخبطت وضلّت
(٧) مجرهد : وعر
(٨) المجدى : المعطى
(٩) القرم : السيد

فقال أبو نخيلة :

كنا أناساً نرهب الأملاكا إذا ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجينا زمنا أباكا ثم ارتجينا بعده أخاكا
ثم ارتجينا بعده إياكا وكان ما قلت لمن سواكا
زوراً فقد كفر هذا ذاكا

فتبسم أبو العباس وقال :

- أنت شاعر ، وطالب خير ، ومازال الناس يمدحون الملوك فى دولهم ، والتوبة تكفّر الخطيئة ، والظفر يزيل الحقد ، وقد عفونا عنك ، كما عفونا عن غيرك ممن مدح بنى أمية ، وأنت الآن شاعرنا ، فاتسم بذلك ليزول عنك ميسم بن مروان ، فقد كفّر هذا ذاك كما قلت !

وهكذا ابتسم الزمان فترةً لأبى نخيلة ، بعدما عفا عنه أبو العباس السفاح ، وقربه إليه ، وجعله شاعره المفضل .. إلا أن دوام الحال من المحال - كما يقولون .

فعندما رحل عن الدنيا السفاح ، وتولى الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور وأراد المنصور أن يولى ابنه المهدى العهد ، ليصير خليفةً من بعده ، بدلاً من عيسى بن موسى ابن أخيه ، وجدها أبو نخيلة فرصة للتقرب من أبى جعفر المنصور ، فأنشأ قصيدة أيّد فيها رأيه وطالب بخلع عيسى بن موسى ولى العهد ومبايعة

المهدى ، وأشاعها بين الناس .

وبلغت القصيدة المنصور ، فدعا إليه أبا نخيلة ، وطلب منه أن يسمعه القصيدة وكان عيسى بن موسى جالساً إلى جواره .

فاستمع مع عمه إلى القصيدة .. (ولم تكن تلك هى المرة الأولى التى يستمع فيها إليها ، فقد وصلت إلى مسامعه أبيات منها التقطها بعض المقربين إليه من أفواه العامة وأخبروه بها) .

وبالطبع كان عيسى بن موسى يضمر حقداً شديداً على أبى نخيلة بسبب تلك القصيدة ، وكان يعتزم الانتقام منه .. والآن بعدما ألقى أبو نخيلة قصيدته ، دونما أى خجل من عيسى بن موسى ، ودونما أى مراعاة لمشاعره ، فقد ازداد عيسى بن موسى إصراراً وتصميماً على قتله .

وبالفعل .. أدرك أبو نخيلة ما يعتزمه عيسى بن موسى ، فسارع بالفرار إلى خراسان .

فأرسل عيسى بن موسى خلفه مولى له يُدعى "قطرياً" ومعه عدد من الرجال الأشداد ، فلحقوه فى طريقة إلى خراسان ، وذبحوه !



أبو الينبغى

أبو الينبغى

أبو الينبغى شاعر عاش فى زمن الخليفة العباسي الواثق .. كان سريع البديهة ، فاحش الهجاء ، مندفع إلى ذم الناس وهجائهم ، له بعض الأشعار الطريفة التى ذاع صيتها على كل لسان فى زمانه ، من ذلك قوله :

صبراً على الذل والصغار ياخالق الليل والنهار
كم من حمار على جواد ومن جواد بلا حمار

وقوله :

ألا يا ملك الناس وخير الناس للناس
أتنهانى عن الناس فأغنيتى عن الناس
وإلا فدع الناس ودعنى أسأل الناس
فهل سمعت فى الناس بشعر كله الناس ؟

وكانت نهاية أبى الينبغى" على يد "الفضل بن مروان" أحد المقربين إلى الخليفة الواثق .

حيث كان قد هجاه بقصيدة ، رددها الناس ، فحرض الخليفة ضده ، وادعى أنه هجاه ، فأمر الخليفة الواثق بحبسه .. دون أن يتأكد من صحة ما قاله الفضل بن مروان .. وظل أبو الينبغى فى الحبس إلى أن مات .

ويروى الرواة حكاية طريفة عنه ، فيقولون إنَّ "أبا هفّان" دخل عليه فى محبسه ، فسأله : من أنت يا رجل ؟.. وما سبب حبسك ؟! فقال له : أنا أبو الينبغى .. قلت : مالا ينبغى .. فحبست حيث ينبغى . !



الأعشى

الأعشى

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث .. وهمدان هو جده الأعلى ، ولُقِّب بالأعشى لضعف بصره ..

ولد بالكوفة (فى العراق) سنة ٣٠ هجرية . كان فقيها وقارئاً للقرآن ، قبل أن يتحول إلى الشعر ويشتهر كشاعر .

وكان يُعد فى زمانه شاعر أهل اليمن فى الكوفة وفارسهم .. كما كان خطيباً بارعاً مسموع الكلمة .

جمعته صداقة حميمة فى الكوفة بالمغنى أحمد النصبى الذى كان يلحن له بانتظام ويغنى له قصائده بالطنبور (آلة موسيقية قديمة) ، كان أعشى همدان معجباً فى بداية أمره ، وفى شبابه بمصعب بن الزبير (الشيعى) ، لكنه بعد ذلك تقرّب من الأمويين وقاتل معهم فى العراق وفى أصفهان .

إلا أنه سنة ٨٠ هجرية انقلب على الأمويين ، واشترك فى الثورة التى قادها عبد الرحمن بن الأشعث ضد الحجاج (ساعد الأمويين ورجلهم القوى فى العراق)، ومدح الأشعث بعدة قصائد ، وبالطبع هجا الحجاج والأمويين .

اشترك فى معركة "دير الجماجم" ضمن جيش الأشعث ، ولما انهزم الأشعث وتفرق جيشه ، أُسِر واقتيد أسيراً إلى الحجاج .

وحين رآه الحجاج قال له :

ـ الحمد لله الذى أمكننا منك .. ألست القائل :

لما سفونا للكفـور الفتّـان   بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالقطا من قحطان   ومن معـد قد أتى ابن عدنـان
أمكن ربى من ثقيف همدان   يوماً إلى الليـل يسلّى ما كـان
أن ثقيفـاً منهم الكذابـان   كذابها الماضـى وكـذّاب ثـان ؟

ثم قال :

أو لست القائل :

نبئت حجاج بن يو   سف خر من زلق فتبا ؟

كلا يا عدو الله ، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذى خرَّ من زلقٍ فتب وحار وانكبّ وما لقى ما أحب ، ثم رفع الحجاج صوته وتطاير الشرر من عينيه حتى لم يبق واحد فى المجلس إلا وقد اقشعرٌ بدنه وارتعدت فرائصه .

فقال الأعشى :

بل أنا القائل أيها الأمير :

وما لبث الحجاج أن سل سيفه   علينا فولى جمعنا فتبدداً

فوافق الحاضرون فى المجلس على ما قال واعتبروا ذلك مديحاً للحجاج ، وطالبوه بالعفو عنه وإخلاء سبيله .

فقال لهم الحجاج :

– أتظنون أنه أراد مديحى ؟، والله لقد قال هذا أسفاً على أنكم غلبتموه وأسرتموه ، وأراد أن يحرِّض أصحابه .

ثم اقترب منه وقال :

– أظننت يا عدو الله أنك تخدعنى بهذا الشعر ، وتفلت من يدى وتنجو ؟ .. ألست القائل :

وإذا سألت المجد أين محله ؟ فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأعز وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود

والقائل :

وأصابنى قوم وكنت أصيبهم فاليوم أصبر للزمان وأعرف
وإذا تصبك من الحوادث نكبة فاصبر فكل غيابة ستكشف ؟

كذبت والله ! ما كنت صبوراً ولا عروفاً ، أما والله لنكونن نكبة لا تنكشف غيابتها عنك أبداً .

ثم نظر إلى جلاده ، وقال بصوت حاد :

– اضرب عنقه .

وهكذا ضربت عنق الأعشى ، وفقد حياته بسبب أبيات من الشعر هجا بها الحجاج !



الأُقَيْشِر

الأقيْشَر

ولد الأقيشر فى زمن الجاهلية ، وعاش فى زمن الإسلام ، حتى حدود سنة ٨٠ هجرية .

اسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض ، وكنيته أبا معرض ، وهو من بنى أسد . ولُقِّب بالأقيشر لأنه كان أحمر الوجه .

كان كوفياً (من الكوفة) خليعاً ماجناً فاسقاً مدمن للخمر ، وكان هجَّاءاً سليط اللسان ، لم يسلم من هجائه أحد .

أراد أن يتزوج ابنة عم له تدعى "رباب" ، فطلب منه عمه (أبوها) مهراً لها أربعة آلاف درهم ، وهو مبلغ كبير آنذك ، فالتمس من أهله أن يساعدوه ، فلم يعطوه شيئاً ، فذهب إلى (ابن رأس البغل) دهقان الصين (أو حاكمها) وكان مجوسياً ، وطلب منه أن يساعده ، فأعطاه الأربعة آلاف درهم كاملة .

فامتدحه قائلاً :

كفانى المجوسى مهر الربـاب ... فدى للمجوسى خالى وعم
شهدت عليك بطيب الأروم ... فإنك بحـر جواد خضـم
وأنك سيد أهل الجحيـم ... إذا ما ترديت فيمـن ظلـم
تجاور هامـان فى قعرهـا ... وفرعون والمكتنى بالحكـم

فاندهش ابن رأس البغل ، وقال له :

لقد طلبت من قومك فلم يعطوك شيئاً ، وجئتنى فأعطيتك ، فهل هذا جزائى عندك ؟!

فقال له الأقيشر :

- أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك والفراعين ، وفوق أبى جهل الذّى قال عنه الله سبحانه وتعالى : "تبّت يدا أبى لهب وتب " ؟!

كان الأقيشر كما قلنا فى البداية هجاءاً سليط اللسان ، هجا كثيراً من الناس .

وكان ممن هجاهم عبد الله بن إسحاق بن طلحة .. بل كان مولعاً بهجائه .

ولما ضاق به ابن إسحاق ، قال لغلمانه يوماً :

- ألا تريحوننا منه ؟

فانطلقوا وجمعوا بَعْراً وقصباً ، وحفروا حفرة فى الأرض وملئوها به .. وانتظروا الأقيشر بالطريق إلى أن رأوه قادماً على بغل وهو يترنح من شدة سكره ، فهجموا عليه وأنزلوه عن البغل الذى كان يركبه ، وقيدوه بحبلٍ ، ثم وضعوه فى تلك الحفرة . ثم أشعلوا النار فى القصب والبعر ، فكانت النار تلفح وجهه وجسمه بفعل الريح ، وظل على هذا الحال يصرخ إلى أن أحرقته النار ، وشوت جسمه ، ولفظ أنفاسه .

وأصبح الصبح ، فوجده الناس محترقاً بتلك الحفرة . وهكذا مات الأقيشر ، بسبب قصائده التى كان يهجو الناس بها ! .



بشَّار بن بُرْد

بشار بن بُرْد

هو بشار بن برد بن يرجوخ .. واحد من أبرز الشعراء فى العصر العباسى الأول .

ولد فى البصرة ، وكان جده يرجوخ من عبيد "المهلب بن أبى صفرة" وأبوه برد كان من عبيد "خيرة القشيرية" امرأة المهلب ، التى تنازلت عنه وأعطته لامرأة من بنى عقيل ، ليصير من عبيدها . وفى تلك الأثناء وُلِدَ بشار .

ثم سرعان ما أعتقت المرأة العقيلية بشاراً وأبيه !

وقد ولد بشار أعمى ، فلم يرى الدنيا قط ، وإلى جانب العمى كان دميماً او قبيحاً فى الشكل ..

وعلى الرغم من آفة العمى وآفة الشكل القبيح او الدمامة ، فقد كان بشار يتحلى بخفة روح ودعابة وسرعة بديهة وفكاهة تفوق نظيراتها عند غيره من شعراء عصره .

– على عكس ما يشيع عنه كثير من مؤرخى ونقاد الأدب سواء فى عصره أوفى العصر الحديث – من أنه كان حانقاً على الدنيا وحاقداً على البشر .

يروى أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه : الأغانى ، أن بشارًّا مَرَّ بقوم يحملون نعش رجل ميت ، وهم يسرعون فى مشيهم ، **فقال** : ما لهم مسرعون هكذا ؟ .. أتراهم سرقوه ويخشون أن

يُلْحَقَ بهم ، فيؤخذ منهم ؟ ! .

وبلغت خفة روحه أنه قال شعراً على لسان حماره الذى مات ، ورآه فى المنام بعد ما مات ، فسأله عن سبب موته ، فقال له :

سيدى خُذْ بى أتاناً ... عند باب الأصبهانى
تيّمتنى ببنانٍ ... وبَدَلّ قد شجانى
تيّمتنى يوم رُحنا ... بثناياها الحسان
وبغنجٍ ودلالٍ ... سَلّ جسمى وبرانى
ولها خَدٌّ أسيلٌ ... مثل خدِ الشيفران
فلذا مُتُّ ولوعشت إذًا الطال هوانى

ولما سألوه عن "الشيفران" وكان لفظاً غريباً لا تعرفه العرب ، **قال** : وما يدرينى ؟! هذا من غريب الحمار .. إذا لقيتموه فاسألوه .

وأنشد يوماً شعراً قال فيه :

غنى للغريض يابن قنان

فقيل له : مَنْ ابن قنان هذا ؟ ! .. لسنا نعرفه .

فقال لهم : وما عليكم منه ؟! .. ألكم عنده دين فتطالبونه به ، أو ثأرٍ تريدون أن تدركوه لديه ، أو كنت كفيله عندكم ، فإذا غاب طالبتمونى بإحضاره لكم ؟!

قالوا : ليس بيننا وبينه شئ من هذا .. وإنما أردنا أن نعرفه .. ليغنى لنا .. إذا كان يغنى !

فقال : هو رجل يغنى لى ولايخرج من بيتى .

فقالوا له : إلى متى ؟

قال : منذ ولد وإلى يوم يموت .

وذات يوم مَرَّ بأحد الشيوخ الذين يروون قصصاً دينياً ، فسمعه يقول : من صام رجباً وشعباناً ورمضاناً بنى له الله قصراً فى الجنة صحنه ألف فرسخ فى مثلها ، وعلوه ألف فرسخ ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصيره عشرة فراسخ فى مثلها . فالتفت إليه بشار وقال : بئست والله الدار هذه فى كانون الثانى (يقصد فى الشتاء) .

لقد اغتاظ بشار من الرجل ومن كلامه ، فهو يدخل فى الدين ما ليس فيه ، ويروى قصصاً لا علاقة لها بأى أصل من أصول الشريعة ، فأراد أن يعلق على كلامه ويسخر منه سخرية طريفة !

من ذلك أيضاً أنه مَرّ يوماً برجل يدعى "هلال الرأى" وكان هذا الرجل رافضياً (أى من الرافضة وهى فرقة من الشيعة كانت تبايع زيداً بن على بن الحسين ثم قالوا له تبرأ من الشيخين فأبى فرفضوه) ، وكان الرجل ثقيلاً لا يحتمله الناس ، ورغم ذلك كان يجمع الناس إليه ويحدثهم فى أمور الدين ، فقال له بشار :

– يا هلال .. أتطيعنى فى نصيحة أختصك بها ؟

فقال له : نعم .

قال : إنك كنت تسرق الحمير فيما مضى من الزمان ، ثم

تبتَ ، وصرتَ رافضياً .. فعد إلى سرقة الحمير .. فإنها والله خير لك من الرفض !

كان هذا هو بشار ذو الروح الخفيفة أو صاحب الدعابة والسخرية .

فماذا عن بشار الشاعر .. وماذا عن نهايته بسبب الشعر ؟! .

لعل أخطر الانعطافات فى حياه بشار كان تأييده لثورة إبرهيم بن عبد الله بن الحسن الذى تمرد على الخليفة المنصور بعد أن دعا لنفسه بالخلافة ، حيث يروى الرواة أنه كان قد بعث له (أى لإبراهيم بن عبد الله) بقصيدة مدح ، فيها تحريض واستثارة إلا أن القصيدة لم تصله ، حيث قُتِلَ قبل أن يستلمها عندما انهارت ثورته . فخاف بشار أن تذيع القصيدة ويتداولها الناس ، فقلبها وأبدلها وجعل التحريض فيها على أبى مسلم الخراسانى ، كما جعل المدح والمشورة لأبى جعفر المنصور ، **فقال :**

أبا مسلم ما طيب عيش بدائم ... ولا سالم عما قليل بسالم

وكان قبل ذلك :

أبا جعفر ما طيب عيش بدائم ... ولا سالم عما قليل بسالم

وأبيات النصح والمشورة منها :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن ... بعزم نصيح أو بتأييد حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً ... فإن الخوافى قوة للقوادم

وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم

ومرت تلك الواقعة بسلام دون أن يتعرض بشار لأى أذى أويتلقى أى عقاب عنها .

وبعد انقضاء عهد المنصور تقرّب بشار من الخليفة المهدى ومدحه بعدة قصائد ، استطاع بسببها أن يكون من أقرب محدثيه وجلسائه ، ومن أحم ندمائه وسماره .

ومن جانبه كان المهدى يأنس به ويجزل له العطايا ، ويطلبه إذا جلس للهّو والسمر .

وذات يوم مدح بشار الخليفة المهدى بقصيدة تضمنت غزلاً رقيقاً .

فنهاه المهدى عن قول الغزل فى شعره - وكان المهدى شديد الغيرة على النساء ، ولهذا كان لا يقبل الغزل .

مما جاء فى تلك القصيدة :

تجاللت عن فهر وعن جارتى فهر وودعت نعمى بالسلام وبالبشر

وأخرجنى من وزر خمسين حجة فتى هاشمى يقشعر من الوزر

دفنت الهوى حياً فلست بزائر سليمى ولا صفراء ما قرقر القمرى

قرب ثقال الردف هبت تلومنى ولو شهدت قبرى لصلت على قبرى

ورغم ذلك ، فقد بلغت مسامع المهدى بضعة أبيات فى الغزل نظمها بشار وفيها ينصح الرجال بتحمل الهموم والصبر إذا أرادوا الوصول إلى قلب المرأة ، كما ينصحهم بعدم اليأس

بسبب عناد النساء ورفضهن الخضوع فى الظاهر . وإن أظهرن أقوالاً غليظة جارحة ، فإن عسرهن سيتحول إلى يُسْر وصعبهن سيصبح سهلاً ممكناً .

من ذلك قوله :

قاس الهموم تنل بها نجحاً ... والليل إن وراءه صُبْحاً
لا يؤيسنك من مخبأةٍ ... قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرةٍ ... والصعب يمكن بعدما جمحا

فغضب المهدى **وقال له :**

- أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات والمخبآت ؟ ، والله لئن قلت بعد هذا بيتاً واحداً فيه مدح لآتين على روحك .

وكان ذلك أول إنذار بالقتل يتلقاه شاعرنا بشّار من المهدى ، فامتنع عن قول الغزل فترة من الزمن .

بعدها فيما يبدو، تحوّل إلى الهجاء فى شعره .. وإن كان الهجاء ليس غريباً عليه ، فقد مارسه منذ بواكير شاعريته وهو صغير السن ، متأثراً بجو الحياة الأدبية والشعرية التى كان يملأها شعراء أمثال جرير والفرزدق بمعارك حامية فيها ما فيها من الهجاء اللاذع .

ولما عوتب بشار على هجائه - الذى كان من النوع المقذع والفاحش والموجع **قال :**

– من أراد من الشعراء أن يكرم فى دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر ، وإلا فليبالغ بالهجاء ليُخَاف فيعطى .

وقد بدأت مأساة بشار الشخصية . تلك المأساة التى انتهت بإعدامه أو قتله بأمر الخليفة المهدى ، حين هجا وزير المهدى ، يعقوب بن داود .

قال فى هجائه :

لا ييأسن فقير من غنى أبداً ... بعد الذى نال يعقوب بن داود
قد صار من بعد إشراف على تلف ... وبعد غُل على الزندين مشدود
أخا لمهدى خلق الله كلهم ... يرمى به فوق أعناق الصناديد
لئن حسدت على ما نلت من شرف ... لقد عنيت زمانا غير محسود
يا أيها الناس قد ضاعت خلافتكم ... إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزق والعود

كما نظم بيتين من الشعر يلوم فيهما المهدى لتقريبه يعقوب بن داود .. **قال فيهما :**

لله درك يا مهدى من ملك ... لولا اصطناعك يعقوب بن داود
أما النهار فنغمات وقرقرة ... والليل يأوى إلى الزمّار والعود

وبعد ما منع المهدى عنه العطاء والمنح والهدايا التى كان يجود بها عليه ، يروى الرواه أنه هجاه **قائلاً :**

خليفة يزنى بعماته ... يلعب بالدبوق والصولجان

أبدلنا الله بــه غيـره ودس موسى فى حرِّ الخيزران

وقد بلغ بشار بهذين البيتين ، الغاية فى الهجاء ، بل فى التحقير والاستخفاف .

فهو فى البيت الأول .. يتهم الخليفة بارتكاب الزنى بعماته واللهو بلعب الصبيان (الدبوق والصولجان) .

أما البيت الثانى ففيه دعاء على الخليفة بالموت والفقد ، وكذلك دعاء بالفقد على ولى العهد (موسى) ابن المهدى ، وأن يدسه ويعيده فى أمه الخيزران (زوجة المهدى) .

واختلفت الروايات فى اسم من أوصلهما للمهدى الذى ما أن بلغت أسماعه حتى كاد ينشقّ غيظاً .

وأرجح الروايات أن يعقوب بن داود هو الذى أوصلهما – وكان يعقوب شديد الحنق على بشار ويكرهه كثيراً ، بعد ما كان بشار قد هجاه من قبل .

والرواية التى لدينا تقول إنّ يعقوب بن داود دخل على المهدى **فقال له** :

– يا أمير المؤمنين ، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق – يقصد بشار – قد هجاك .

فقال المهدى :

– بأى شىء ؟!

قال :

– بما لا ينطق لسانى ولايتوهمه فكرى .

فقال المهدى :

– بحياتى إلا أنشدتنى .

فقال :

– والله لو خيّرتنى بين إنشادى إياه وضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى .

فحلف عليه المهدى بالأيْمان التى لا فسحة فيها أن يخبره .

فقال :

– أما لفظاً فلا ، ولكنى اكتبه لك .

فكتبه ودفعه إليه ، فكاد المهدى ينشقّ غيظاً .

وفى الحال أمر بالقبض عليه ، ثم كلف شخصاً اسمه (ابن نَهْيَكْ) بضربه بالسوط حتى يموت .

فأخذه ابن نهيك على ظهر سفينة اسمها (الحرّاقة) وضربه بين يدى المهدى ، حتى مات ، ثم رماه فى الفرات ثم انتشله بعض أهله من الماء ودفنوه فى البصرة .

وحين أعدم بشار كان قد ناهز الستين سنة .



حمّاد عجرد

حمّاد عجرد

حماد عجرد شاعر عباسي أصله ومنشأه الكوفة بالعراق ، وكان أبوه نبّالاً يبرى النبل . وقد اهتم أبوه بتوجيهه إلى الدرس والتعليم مبكراً . ويُقَال : إنّه لُقِّب بعجرد لأن أعرابياً رآه فى يوم شديد البرد يلعب وهو عريان مع أقرانه ، فقال له : تعجردت يا غلام ! أى تعرّيت . فسمى من يومها عجرد .

.. والشاعر حماد عجرد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . إلا أنه لم يحظ بالشهرة إلا فى الدولة العباسية . وكان بينه وبين الشاعر بشار بن برد مباريات وطرائف شعرية كثيرة .

ويعتبر حماد من الشعراء المجانين، وقد اتهم بالزندقة .

وقد حبسه المهدى بسبب سكره ، فكتب إليه قصيدة رقيقة طريفة يستعطفه فيها ، فأخرجه من الحبس وكافأه !

.. وفى اعتقادنا أن نهاية الشاعر حماد عجرد تبدأ مع بداية إنصرافة إلى المجون والتهتك وارتكابه المنكرات .. فقد مال إلى الشرب وطلب الملذات الإباحية والتغزل بالغلمان والإماء غزلاً مكشوفاً فاضحاً يصاحبه فيه (مطيع بن إياس) وغيره من المتهتكين ، فكان ذلك السلوك منه نقطة الضعف التى التقطها فيه الخليفة المنصور ، ليستخدمه أداةً سهلة لتدمير سمعة ابن

أخيه السفاح ، المدعو محمد ، لكى يسقطه فى أعين الناس ، ويرفع سمعة ابنه المهدى ، فقد سبق لحماد عجرد أن كان مؤدباً لمحمد بن أبى العباس السفاح ، وبدلاً من تأديبه وتربيته ، فإنه شجعه على الميل إلى اللهو والمجنون .

وأراد المنصور أن يقضى على سمعة ابن أخيه ويفضحه ، مستغلاً علاقته بحماد عجرد ، فعين ابن أخيه والياً على البصرة وألحق به حماداً ليكمل إغواءه ويجعله يغرق فى مجونه ولهوه وفسقه أكثر ، كمقدمة لإبراز شخصية ابنه المهدى ، وتثبيت ولاية العهد له ، بدلاً من ابن أخيه .

ونجح المنصور فى مسعاه ، وصحب حماد محمداً بن أبى العباس السفاح ، عندما توجه إلى البصرة ، بعدما صار والياً عليها . وهناك راح ينظم القصائد فى مدحه .

.. وصادف أن أراد محمد بن أبى العباس السفاح أن يخطب ابنة عم أبيه زينب بنت سليمان العباسى ، فكان يهواها . فرفض أهلها أن يخطبها أو يزوجوها له ، لنقص كانوا يرونه فى عقله ، إضافة إلى مسلكه المشين . فأراد أن ينتقم منهم ويسىء إليهم كما أساءوا إليه ، فطلب من صديقه ونديمه الشاعر حماد عجرد أن ينظم فى ابنة عمه غزلاً على لسانه يفضحها فيه . ففعل حماد وبالغ فيما فعل ، مما أغضب أخيها محمد بن

سليمان وأهلها ، وأثار حقدهم ، وجعلهم يعقدون العزم على الانتقام من حماد .

ثم حدث أن توفى محمد بن أبى العباس السفاح والى البصرة وولى نعمه شاعرنا حماد ، فأصيب شاعرنا بصدمة كبيرة وحزن عليه حزناً شديداً وبكاه بكاءاً حاراً ، ورثاه بأشعار ، منها قوله :

صرت للدهر خاشعاً مستكيناً بعدما كنت قد قهرت الدهورا

ليتنى مت قبل موتك لا بل ليتنى كنت قبلك المقبورا

وبعد موت صديقه أصبح وحيداً فى مواجهة تهديدات محمد بن سليمان العباسى ووعيده ، وعزمه على قتله ، بسبب قصائد الغزل التى شبّب فيها بأخته زينب على لسان محمد بن أبى العباس السفاح – كما ذكرنا آنفاً .

واضطر أن ينظم بعض القصائد فى مدح محمد بن سليمان عساه يرضى عنه ويدعه فى حاله ولا يصر على الانتقام منه .. **من ذلك قوله :**

يابن عم النبى وابن النبى لعلى إذا انتمى وعلى

أنت بدر الدجى المضىء إذا أظلم وأسود كل بدر مضىء

وحيا الناس فى المحول إذا لم يجد غيث الربيع والوسمى

إن مولاك قد أساء ومن أعـ تب من ذنبه فغير مسىّ

ثم قد جاء تائباً فاقبل التو بة منه يابن الوصى الرضى

.. والقصيدة طويلة وفيها مدح وثناء وفيها اعتراف بالذنب والإساءة ، وفيها اعتذار وتوبة ، ورجاء بالعفو والصفح .

غير أن محمد بن سليمان لم يعف عنه ولم يسامحه ، بل ظلّ حانقاً عليه ، غاضباً ، مصراً على قتله والانتقام منه .

وخاف حماد خوفاً شديداً ، والتجأ إلى قبر أبيه سليمان بن على العباسى (الذى كان يدعى أبا أيوب) مستجيراً به ، ونظم على قبره قصيدةً أخرى تضمنت هى الأخرى مديحاً واعتذاراً وتوبة ، منها قوله :

من مقر بالذنب لم يوجب اللـ ـه عليه بسىء إقـرارا

يا بن بنت النبى أحمد لا أجـ ـعل إلا إليك منك الفرارا

غير أنى جعلت قبر أبى أيو ب لى من حوادث الدهر جارا

وحرى من استجار بذاك الـ ـقبر أن يأمن الردى والعثارا

لم أجد لى من العباد مجيراً فاستجرت التراب والأحجارا

فاعف عنى فقد قدرت وخير الـ ـعفو ما قلت كن فكان اقتدارا

ولكن لم ينفع حماداً ذلك المديح فى شىء ، فقد قال محمد بن سليمان عندما بلغه لجوء حماد واستجارته بقبر أبيه :

– والله لأبلّنّ قبر أبى بدمه .

فأيقن حماد أن لا فائدة ترجى من قصائد المدح والاسترضاء .

فهرب إلى بغداد ، مستجيراً بجعفر بن الخليفة المنصور ، فأجاره وحماه ، وطلب منه هجاء محمد بن سليمان ، فلبى

حماد طلبه ، وهجاه هجاءاً لاذعاً من ذلك **قوله** :

قل لوجه الخصى ذى العار : إنىّ سوف أهدى لزينب الأشعارا
قد لعمرى فررت من شدة الخو ف وأنكرت صاحبى نهاراً
وظننت القبور تمنع جارا فاستجرت التراب والأحجارا
كنت عند استجارتى بأبى أيـ وب أبغى ضلالة وخسارا
لم يجرنى ولم أجد فيه حظاً أضرم الله ذلك القبر ناراً

ولا شك أن هذه القصيدة من بين جميع شعر حماد عجرد فى محمد بن العباس ، هى السبب الذى عجّل بقتله ، وخصوصاً البيت الأول من الأبيات المذكورة آنفاً ، والذى يتوعد فيه بأنه سوف يواصل التغزل بأخته زينب ، بعد أن يصفه بالخصى . . وكذلك البيت الأخير الذى يدعو فيه الله بأن يضرم النار فى قبر أبيه ، ذلك القبر الذى لم ينفعه فى شىء عندما استجار به ، وطلب الشفاعة فى حماه .

وواصل حماد هجاء محمد بن سليمان بأشعار أخرى ، لما بلغته قال :

– والله لا يفلت منى أبداً ، ووالله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبداً .

وأرسل أحد أتباعه ، يقتفى أثره ويتتبعه ليفتك به . . وبالفعل عثر عليه هذا التابع فى الأهواز التى كان قد انتقل ليعيش فيها ، متصوراً أنه هكذا يكون فى مأمن من محمد بن سليمان .

وهكذا كانت نهاية الشاعر حماد عجرد ، فى سنة ١٦٠ هجرية .



دِعْبِل الخُزاعى

دعبل الخزاعى

دعبل بن على الخزاعى .. ولد فى الكوفة سنة ١٤٨ هجرية ، وشب فى بغداد ، وتوفى فى الطيب (إحدى قرى الأهواز) .

كان صديقاً للشاعر البحترى . ورثاه عند وفاته .

لم يترك أحداً إلا هجاه . ويعتبر واحداً من شعراء الشيعة المتحمسين لآل البيت .

وقد نشأ دعبل بفطرته ناقماً هجّاءاً ، لايرضى عن شىء ، ولايرتاح إلى مدح أحد (باستثناء آل البيت) . مغرماً بالنقد والثلب كلِفاً بهما ولا يكف عنهما .

ظل طول حياته ساخطاً على الجنس البشرى كله ، يهجوه فى أشخاص الأفراد الذين يبسط فيهم لسانه ، فيقول مثلاً :

إنى لأ فتح عينى حين أفتحها   على كثيرٍ ولكن لا أرى أحداً

وقد جمع إلى بغضه الناس ، جفاءاً فى الطبع ، فقضى معظم أيام حياته يزرع الآفاق مشرداً تحت كل كوكب فى صحبة الصعاليك وقطّاع الطرق واللصوص . وطوى أكثر عمره متخفياً متوارياً عن الأعين ، خشية أن يقع فى قبضة أحد ممن هجاهم ، ولم يخل الطريق الذى قطعه سائراً من العراق إلى الشام إلى مصر إلى بلاد فارس من واحد يهدر دمه ويترقبه ليقتله ، إذ لم

يدع أحداً فى مأمن من خبث لسانه .

قال يوماً : لى خمسون سنة أحمل خشبتى على كتفى أدوِّر على مَنْ يصلبنى عليها فما أجد من يفعل ذلك .

وهكذا يبدو أن ولعه بالهجاء قد أوصله بأن يهب حياته من أجل أن يجد أحداً يصلبه !

وكان له رأى خاص فى موضوع الهجاء ، فقد قيل له :

ـ هجوتَ الخلفاء والوزراء والقواد ، ووتّرت الناس جميعاً ، فقضيت دهرك كله شريداً طريداً هارباً خائفاً ، فهلا كففت عن ذلك ؟!

فقال :

– وجدت أكثر الناس لأينتفع بهم إلا على الرهبة ، ولا يبالى بالشاعر وإن كان مجيداً ، إذا لم يُخَفْ شره ، وعيوب الناس أكثر من محاسنهم ، وليس كل مَنْ شرَّفته بشعر شَرُفَ .

فإذا رآك أوجعت عرض غيره وفضحته إتّقاك على نفسه .

وهكذا .. فهو يستخدم الهجاء للترهيب ، وصولاً إلى تحقيق غاياته فى المنفعة ويريد فرض وجوده ومكانته على الناس ، ويدفعهم للاهتمام به من خلال خوفهم منه وتحاشيهم لشره ، لأنه يقتنص عيوبهم ويفتش عن أخطائهم ، منطلقاً من أن عيوب الناس أكثر من محاسنهم .

ومن شدة ولعه بالهجاء قيل إنّه كان ينظم القصيدة الهجائية أو بضعة أبيات منها دون أن تكون لشخص معين ، حتى إذا ما

غضب على أحدهم يوماً من الأيام جعلها له ووضع اسمه فيها !

وإذا تابعنا سيرة حياته ، وجدنا أنه قد هجا أشخاصاً كثيرين ، ومن كل المراتب .

فقد هجا بني بسام ، عندما قال فيهم :

حواجب كالجبال سود إلى عثانين كالمخالي

وأوجه جهمة غلاظ عطل من الحسن والجمال

(عثانين : جمع عثنون وهي اللحية ، المخالي : المكانس)

كما هجا إبرهيم بن المهدى ، وهجا الخليفة المأمون هجاءاً شديداً قاسياً وذكّره بمقتل أخيه الأمين على يد طاهر بن الحسين الخزاعي (وهو من أقارب دعبل) .

ويذكّر المأمون في تلك القصيدة بأنهم قد رفعوه من الحضيض حيث **يقول** :

أيسومني المأمون خطة جاهل ؟ أو ما رأى بالأمس رأس محمد ؟

أني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خمولة واستنقذوك من الحضيض الأوهد

وحتى طاهر بن الحسين الخزاعي ، قائد المأمون القوى ، الذى فتك بالأمين ، والذى كان دعبل يتباهى بقرابته منه ، لم يسلم هو الآخر من هجاء دعبل ، فقد رماه بسهم لاذع من سهام هجائه .. وكان طاهر ذاك أعوراً ويلقّب بذى اليمينين ..

قال فيه :

وذى يمـينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائدة

وعندما وصله خبر وفاة الخليفة المعتصم ، واستلام الواثق للخلافة من بعده ، قال يهجو كلا من الخليفة المتوفى والآخر الجديد الذى لم يباشر الخلافة بعد :

الحمد لله لا صبر ولا جــلد ولا عزاء إذا أهل البلى رقدوا

خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفــرح به أحــد

وكان من قبل قد هجا المعتصم هجاءاً مسيئاً مؤلماً مليئاً بالشتائم ، وكان سيقتل بسببه إلا أنه استطاع الهرب إلى الجبل .

وقد شبهه فى قصيدته بالكلب لأنه ثامن خليفة عباسى ، وكذلك كان أهل الكهف سبعة وثامنهم كلب !

قال فى هجائه :

بكى لشتات الدين مكتئب صب وفاض بفرط الدمع من عينه عزب

وقام إمام لم يكن ذات هـدية فليس له دين وليـس له ذنب

وما كانت الأنباء تأتـى بمثله يُمَلَّكُ يوماً أو تدين لـه العرب

ولكن كما قال الذين تتابعـوا من السلف الماضى الذى ضمه الترب

: ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة ولم تأتنـا عن ثامن لهـم كتب

كذلك أهل الكهف فى الكتب سبعة خيـار إذا عدّوا وثامنهـم كلبُ

وإنى لأعلى كلبهم عنك رفعـة لأنـك ذو ذنب وليـس له ذنب

لقد ضاع أمر الناس إذ ساس ملكهم (وصيف) و(أشناس) وقد عظم الكرب
وفضـــل بن مروان سيثلم ثلمة يظل لها الإســـلام ليس له شعب
وهمـــك تركى عليه مهـــانة فانت لــــه أم وأنـــت لـه أب
وإنى لأرجو أن يرى فى مغيبها مطلع شمس قد يغص بها الشرب

وإذا ما استعرضنا قائمة الذين هجاهم الشاعر دعبل الخزاعى ، سنجدها تشمل إلى جانب الخلفاء والوزراء وذوى الشأن والاعتبار ، أناساً بسطاء أمثال جاريته التى كانت تسمى برهان وأخيه رزينا وغيرهما .

ولعلنا سنستغرب إذا عرفنا أن دعبل الخزاعى ، قد عُيِّن والياً على أسوان (فى مصر) .. والذى عينه وحباه بهذا المنصب هو حاكم مصر آنذاك (المطلب بن عبد الله بن مالك) الذى كانت تربطه بدعبل علاقة صداقة ، إلا أن الولاية على أسوان لم تدم زمناً طويلاً إذ هجا "المطلب" هجاءاً مراً ، فعزله ..

قال فى ذلك الهجاء :

تعلق مصر بك المخزيـــــات وتبصق فى وجهك الموصل
وعاديت قوماً فما ضرهـــــم وشرفت قوماً فلم ينبـــلوا
شعارك فى الحرب يوم الوغى إذ انهزموا عجلوا عجـــلوا
فأنت لأولهـــــم آخـــــر وأنــــت لآخرهــــم أوّل

قصد شاعرنا دعبل الخزاعى ذات يوم ، مالكاً بن طوق ، وهو أحد ذوى الشأن والاعتبار فى زمانه ، ولما هَمَّ بالدخول عليه فى

مجلسه منعه الحجّاب والعبيد . فقال شعراً هجاه فيه ، منه :

لعمرى لئن حجبتنى العبيد ... لما حجبت دونك القافية
سأرمى بها من وراء الحجاب ... شنعاء تأتيك بالداهية
تصمُّ السميع وتعمى البصير ... ويسأل عن مثلها العافية
لا أحد أخشاه على ... من قال : أمك زانية
يا زانى ابن الزانى ابن ... الزانى ابن الزانية
أنت المردد فى الزناء ... على السنين الخالية
ومردد فيه على ... كر السنين الباقية
سألت عنكم يابنى مالك ... فى نازح الأرضين والدانية
طراً فلم تعرف لكم نسبة ... حتى إذا قلت بنى الزانية
قالوا : فدع داراً على يمنة ... وتلكما دارهم ثانية

ويبدو أن هذه القصيدة كانت هى النهاية ، وهى السبب المباشر لقتله ، إذ كلّف مالك بن طوق أحد أتباعه بالبحث عنه ، وأعطاه سماً ، وأمره بأن يغتاله بالطريقة التى يراها مناسبة ، بعدما يتمكن منه . وكان هذا بعد هروب دعبل إلى الأهواز .

ومازال الرجل يبحث عنه ويطلبة ، حتى وجده ، فضرب ظهر قدمه بعكاز له رأس معدنى ، كان وضع فوقه السم ، فمات فى اليوم الثانى .

وهكذا كتب الشعر هذه الخاتمة المأساوية لشاعر لم يترك أحداً إلا وهجاه .



السُّلَيك بن السُّلَكَة

السليك بن السلكة

السليك من صعاليك العرب .. وهى طائفة من الشعراء ضمت كثيراً من الشعراء أمثال تأبط شراً وعمرو بن براق ونفيل بن براقة والشنفرى ... وغيرهم . وهؤلاء كانوا على فقرهم يتميزون بالأنفة والكبرياء والترفّع عن الصغائر والدنايا والأعمال الحقيرة ، ويعتمدون فى حياتهم على القوة والبطش وانتهاز الفرص وخفة الحركة والجرى والهجوم الخاطف والسلب والنهب من الأعداء ، مع حرصهم على البر بالضعفاء والعطف والإحسان على المحتاجين .

.. وكثيراً ما نراهم فى أشعارهم يلعنون الصعلوك الفقير الذى يرضى بالمهانة ، ويستكين لفقره ويألف كسله وخموله ، ويكتفى فى طعامه بشىء يجده فى القمامة أو فى بقايا موائد الأغنياء . وكانوا يأنفون من ذلك الصعلوك الذى إذا ما جاد عليه أحدهم بشىء يأكله أو يشربه ، يعتبر نفسه من السعداء أو المحظوظين !

كما نراهم فى أشعارهم يمجّدون الصعلوك الأبى الذى لا ينال الفقر من قوة شخصيته ومهابته التى يحسب لها الأعداء ألف حساب .. ذلك الصعلوك الذى يملأ النفوس رهبةً وفزعاً

.. والذى إذا عاش ، عاش كريماً ، وإذا مات ، مات حميداً .

.. السلّيك إذن واحد من هؤلاء الصعاليك كان يعتمد على قوته وعلى سرعته فى الفرار ومعرفته الجيدة بمسالك ودروب الصحراء .

وكان له دعاء مشهور يقول فيه : « اللهم إنك تهيىء ما شئت إذا شئت .. اللهم إنى لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أمة .. اللهم إنى أعوذ بك من الخيبة .. أما الهيبة فلا هيبة » .

وقبل أن ننتقل إلى إستعراض بعضاً من حياته ، نشير إلى أن اسمه هو السليك بن عمرو ، من بنى مقاعس ، أما السّلكة فهى أمه .. وكانت سوداء .

.. اشتد الجوع على السلّيك ، فمضى فى الصحراء ليلاً ، ساعياً على رجليه ، علّه يصادف قافلة تجتاز الصحراء ، أو قوما حطوا رحالهم ويبيتون ليلتهم فى الخيام ، فيغير عليهم ويظفر بشىء منهم يسد به جوعه . لكنه قطع مسافة كبيرة دون أن يظفر بشىء ، فافترش رمل الصحراء وتوسّد عضده ونام . وبعد قليل وجد إلى جواره رجلاً ممداً ، فقال له : مَنْ أنت ؟ .. فقال : أنا رجل افتقرت ، فقلت لأخرجن ، فلا أرجع إلى أهلى حتى أستغنى . فقال له السليك : انطلق معى إذن . وانطلقا معاً .. وما هى إلا بضع ساعة إلا وانضم إليهما رجل آخر ، حاله مثل

حالهما .. فانطلق الثلاثة يبحثون في الصحراء عن قوم ينهبونهم ، حتى بلغوا وادياً وجدوا به قطيعاً من الإبل . فقال السليك لصاحبيه : كونا قريبين مني ، وسأنطلق وحدى وأقترب من تلك الإبل فإن رأيت الصيد سهلاً أشرت إليكما لتغيرا عليها معي .

وانطلق حتى اقترب من القطيع ، ثم أقبل على الفتيان الذين يحرسون الإبل ويرعونها ، وراح يحدثهم حتى عرف منهم أن سادتهم ، مالكي تلك الإبل يسكنون مكاناً بعيداً . فأدرك أنه سيكون في أمان إذا ما أغار على الإبل وأخذ بعضها ، ثم فجأة قال لهم : ألا أغنيكم ؟ فقالوا : بلى ، غننا !

فرفع صوته وتغنّى :

يا صاحبي ألا لاحي بالوادي ... سوى عبيد وأم بين أذواد

اتنظران قريباً ريث غفلتهم ... أم تغدوان فإن الريح للغادي ؟

وسمع صاحباه ذلك وفهما مقصده ، فأقبلا عليه بسرعة وسلبا الإبل وهربوا بها ، وصاح الفتيان الذين كانوا يحرسون الإبل ، إلا أن صياحهم لم يكد يبلغ مكان سادتهم حتى كان السليك وصاحباه في مكان آمن بعيد ، هم وغنيمتهم التي ظفروا بها .

والقصص التي تصور شدة السليك وسرعته في العدو كثيرة .. من ذلك أن قبيلة بكر بن وائل ، كانت في طريقها للإغارة على

قومه ، ورأته طلائعهم وهم يزحفون فى الصحراء ، فقالوا : إذا رآنا السليك وعلم بأمرنا ، أنذر قومه . فطارده فارسين منهم ، إلا أنه ظل يجرى على قدميه كأنه ظبى ، ولم يمكنهما من نفسه ، على الرغم من أنهما كانا يمتطيان جوادين قويين . وظلا يتبعان أثره ويطاردانه طيلة النهار ، حتى خشيا أن يتوها فى الصحراء ، فانصرفا عنه وعادا خائبين إلى قومهما . فى حين كان السليك قد وصل إلى قومه وأخبرهم بما رأى وأنذرهم ، إلا أنهم كذّبوه واستبعدوا أن تهاجمهم بكر . .

فقال لهم :

يكذبنى العمران ، عمرو بن جندب ... وعمرو بن سعد والمكذب أكذب

ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها ... كراديس يهديها إلى الحى موكب

كراديس فيها الحوفزان وقومه ... فوارس همام متى يدع يركبوا

وما هى إلا سويعات قليلة حتى كان جيش بكر يهجم عليهم ويهزمهم .

بعدها ندم قوم السليك على أنهم لم يصدّقوا فتاهم ! لكن ندمهم جاء بعد فوات الأوان !

. . أما عن قصة مقتله ، فيقول الرواه إنّه لقى بالصحراء ذات يوم رجلاً من خثعم يقال له مالك بن عمير وكان معه امرأته وتدعى النوار ، فأسرهما ، ثم أطلق سراح الرجل واحتفظ

بامرأته .. وحدث أن وقعت المرأة فى غرام السلّيك ، فقالت له :

احذر خثعم فإنى أخافهم عليك !

فقال لها :

تهددنى كى أحذر العام خثعما   وقد علمت أنى امرؤ غير مسلم

وما خثعم إلا لئـــام أرقـــة   إلى الذل والإسخاف تنمى وتنتمى

فبلغ ما قاله رجلين من خثعم هما : شبل بن قلادة ، وأنس بن مدرك فتعاهدا على الانتقام منه وقتله .

وما هى إلا أيام قليلة حتى فوجئ السلّيك بهم ، وقد حاصروه وسيوفهم مشهرة فى وجهه ، **فقال :**

من مبلغ حرباً أنى مقتـول   يارب نهب قد حويت عثكـول

ورب قرن قد تركت مجدول   ورب زوج قد نكحت عطبـول

ورب عان قد فككت مكبول   ورب واد قد قطعت مشبـول

ولم يكد يُتم بيت الشعر الأخير ، حتى كان سيف قد أغمد فى قلبه ، وآخر قد شق بطنه ، فخر صريعاً على الأرض يسبح فى بركة من الدماء .



طَرفة بن العبد

طرفة بن العبد

طَرفة بن العبد شاعر جاهلى ، ولد بالبحرين ، ومات أبوه وهو طفل صغير ، فكفله أعمامه ، إلا أنهم لم يحسنوا إليه الإحسان الواجب ، واستولوا على إرثه من أبيه وأمه . اندفع وراء أهوائه ونزواته وهو ما زال صغيراً فرح يلهو ويسكر وينثر المال هنا وهناك فضجر منه قومه وطردوه . فراح يضرب فى البلاد ، إلى أن وصل إلى الحيرة ، وهناك تمكن من دخول بلاط الحيرة ، والتقرّب من ملك الحيرة عمرو بن هند ، الذى أكرمه وقرّبه منه وجعله أحد ندمائه ، وكان قد ساعده فى الوصول إلى البلاط والتقرب من الملك عمرو بن هند شخصان كانا بالبلاط وتربطه بهما علاقة قربى ، الأول هو المتلِّمس (خاله) والثانى هو عبد عمرو بن بشر (صهره زوج أخته) .

إلا أن القدر أبى أن يعيش طرفة فى هناءة واستقرار بجوار الملك عمرو بن هند طويلاً .

وإذا قلنا القدر ، نقول أيضاً الاستهتار واللامبالاة والنرجسية التى كانت من سمات شخصية شاعرنا طرفة .

كان جالساً ذات يوم فى البلاط فى مجلس الملك عمرو بن هند حين لمح ظل أخت الملك منعكساً على البللور ، أوقل لمحها ،

فقال شعراً يتغزل فيها .. منه :

يا بأبي الظبي الذي يبرق شَنْفاهُ ولولا الملك القاعد قَدْ ألثمنى فَاهُ

فنظر إليه الملك عمرو شزراً وكتم الأمر فى نفسه ، ولم يقم بأى رد فعل أوتصرف محدد ضده فى الحال .

وكان للملك عمرو بن هند أخ يدعى قابوس ، كان ينوى استخلافه ليكون ملكاً من بعده . وقابوس هذا كان يقضى حياته فى اللهو والصيد وشرب الخمر .

ويبدو أن الملك عمرو بن هند أراد أن يُقصِى الشاعر طَرفة عن مجلسة ، بعدما جرؤ على التغزل فى أخاه وهو جالس معه ، فأمره كما أمر خاله المتلمِّس بأن يرافقا أخيه قابوس ويلازمانه ويكونا فى صحبته ليلاً ونهاراً .

ولم يكن أمام طَرفة والمتلمِّس إلا أن يصدعا للأمر ، ويرضيا بما قسم لهما الملك . فذهبا إلى حيث أمرهما أن يذهبا .. مع قابوس !

ومع قابوس صارا يخرجان بالنهار فى رحلات صيده ، ليعودا بالليل متعبين ، وفى اليوم التالى عندما يجلس قابوس صباحاً للشراب ، يقفان بباب سرادقه ، لا يتحركان ولا يذهبان هنا أو هناك إلا بعد أن يفرغ من شرابه وعربدته ..

وكثير ما كانا يقضيان النهار كله واقفين بباب السرادق فضجر طرفة من ذلك ، وقال شعراً يهجو فيه قابوس وأخيه الملك

عمرو بن هند ، منه هذه الأبيات :

ليت لنا مكان الملك عمرو　　رغوثاً حول قبتنا تخور
من الزمرات أسيل قادماها　　وضرتها مركنة درور
يشاركنا لنا رحلان فيها　　وتعلوها الكباش فما تثور
لعمرك إن قابوس بن هند　　ليخلط ملكه نوك كثير

فى هذه الأبيات يصوِّر "عمر بن هند " ملكاً لا يصلح للملك وخير منه نعجة تخور ، وإن كانت قليلة الصوف ، فربما كان لبنها كثيراً يكفى رضيعها وحالبها ، وهى لا تنفر من الكباش فقد اعتادت أن يضاجعنها . ثم يذكر قابوس فيصف ملكه المحتمل بالحمق والبله !

ولم تصل تلك الأشعار إلى مسامع الملك عمرو بن هند فى حينها ، وإنما وصلته بعد ذلك عن طريق عبد عمرو بن بشر (زوج أخت طرفة) . والذى كان طرفة قد هجاه من قبل لسوء مسلكه مع أخته . وكان مما قال :

ولاخير فيه غير أن له غنى　　وأن له كشحاً إذا قام أهضما
كأن السلاح فوق شعبة بانه　　ترى نفخاً ورد الأسرة أسحما

فى هذين البيتين ينزع طَرفة كل الفضائل عن عبد عمرو ، ولا يبقى له إلا غناه ، ووصفه بالصفات التى يتغزل بها النساء ، فله خصر ضامر إذا قام تثنّى كأنه شجرة البان الرخوة اللينة

الناعمة ، والسلاح الذى يحمله يكاد يثنيه ، وترى له بروزات فى جنبات جسمه ، وعندما يتثنى لحمه يكون مثيراً .

ولم يكن عبد عمرو بن بشر هو الآخر قد سمع بما يهجوه به طرفة فى حينه ..

وإنما سمعه وعلم به فيما بعد .. من الملك عمرو بن هند نفسه .

كيف ذلك ؟! .

كان عبد عمرو بن بشر مرافقاً للملك عمرو بن هند فى إحدى رحلات صيده .

وبعدما انتهوا من الصيد جلس عبد عمرو يقدّم الشواء للملك عمرو ، فأبصر الملك خصره من تحت قميصه الضيق ، **فقال له :**

– ياعبد عمرو .. لقد أبصر طَرفة حسن كشحك حين قال :

ولا خير فيه غير أن له غنى   وأن له كشحاً إذا قام أهضماً

فغضب عبد عمرو مما سمع وثار ، وقال :

– والله يا مولاى لقد قال فيك أقبح من هذا .

فقال الملك عمرو بن هند :

– **وماذا قال ؟**

وهنا أدرك عبد عمرو أنه قد أخطأ وندم على ما بدر منه وأبى أن يُسْمِع الملك ماقاله .

فقال الملك :

- أسمعنيه وطرفة آمن .

فأسمعه ما قاله (وهو ما ذكرناه آنفاً) .

فسكت الملك عمرو بن هند ، ولم يعلق على ما سمع ، وأضمرها في نفسه ، وبيت النية على أن يتخلص منه في أقرب فرصة . وجاءت الفرصة حين دخل طَرفة والمتلمِّس (خاله) ذات يوم على الملك يطلبان فضله وإحسانه ، فأمر كاتبه أن يكتب لكل وحد منهما كتاباً إلى عامله على البحرين (واسمه المكعبر) . وقال لهما : انطلقا بهذين الكتابين إلى البحرين وخذا جائزتكما منه .

وكان في الكتابين أمراً للمكعبر بأن يقتلهما ! ولم ينتاب طَرفة أو المتلمِّس أي شك في الأمر ، وانطلقا إلى البحرين ، وهما يمنيان نفسيهما بالجائزة ، وفي الطريق (قرب الكوفة)، فتح المتلمس رسالته بعد أن انتابه الشك في الأمر ، وطلب من أحد الصبية ، تصادف مروره بالمكان ، أن يقرأها له . فقرأها له الصبي ، وإذا بها أمر بقتله ، فألقى الرسالة من فوره في نهر الكوفة وولىَّ هارباً إلى الشام ، بعدما نصح طرفة بأن يفعل مثل ما فعل ، إلا أن طرفة أبى وتابع سيره إلى البحرين لاستلام الجائزة (الوهمية بالطبع) .

وما أن وصل شاعرنا طَرفة بن العبد الى البحرين ، وسلم الرسالة إلى حاكمها (المكعبر) – الذى كانت بينه وبين طَرفة صلة قرابة ، حتى وجد فيها المعكبر أمراً بقتل طَرفة . فأطلعه على الأمر ونصحه بأن يهرب ويغادر البحرين قبل أن يطلع الصبح ويعرف الناس بوجوده ، وبالرسالة وما فيها .

غير أن طَرفة – الذى كانت نفسه تنطوى على كثير من العنهجية والغرور – أبى أن يهرب وفسَّر موقف المكعبر ، بأنه يبخل عليه بالجائزة !

وفى صباح اليوم التالى أمر المكعبر بحبس طَرفة ، ولم يقتله ، وإنما بعث برسالة إلى الملك يستعطفه فيها ويطلب منه أن يعفو عن طَرفة .

فكان رد الملك هو عزل المكعبر وتعيين شخص آخر مكانه ، وأمره أن يكون أول عمل له فى البحرين هو قتل طَرفة !.

فأحضر الحاكم الجديد طَرفة من الحبس ، **وقال له** :

– إنى قاتلك لا محالة فاختر لنفسك ميتَةً تهواها .

فقال طَرفة :

إن كان ولا بد فاسقنى خمراً وأفصد كحلى (الكحل : عرق فى الذراع) ، فسقاه الرجل خمراً ، وفصده ، فظل ينزف حتى مات .. ولم يتجاوز الست والعشرين سنة ! .



الكميت بن زيد الأسدى

الكميت بن زيد الأسدى

هو "الكميت بن الأخنس بن مجالد" . ولد بالكوفة (فى العراق) سنة ٦٠هـ / ٦٧٩ م .

وهو مصرى .. من مصر ، متعصب ضد القحطانية (اليمنيين) .

كان مولعاً بجمع الأنساب والمناقب ، وكان خطيب بنى أسد وفقيه الشيعة ، وكان حافظاً للقرآن ، وكاتباً حسن الخط ، وهو أول من ناظر فى التشيّع وجاهر بذلك ، وله فى أهل البيت القصائد المشهورة .

كان الكميت كما ذكرنا آنفاً - شديد التحامل على اليمنيين ، لا يخفى كرهه لهم ، ويقول شعراً فى هجاء شعرائهم .

ذلك فى الوقت الذى كان "خالد القسرى" ولى العراق متعصباً لليمنيين ، باعتباره يمنياً .

ومن جانب آخر فإن خالد القسرى كوالى للعراق ، مُعيناً من قِبَلْ الأمويين (كان عامل هشام بن عبد الملك) ، كان شديد الولاء والحماس لبنى أمية .

من هنا كانت الجفوة والعداء الغير معلن بين الكميت (الشيعى) وبين خالد القسرى (الممثل للأمويين أعداء الشيعة) .

وذات مرة سمع الكميت بأن الشاعر الطَرمَّاح قد زار خالد القسرى فى مقره بواسط ومدحه ، فأعطاه القسرى ثلاثين ألف درهم ، وخلع عليه خِلعة (حُلة) لا تقدر بثمن .

فعزم الكميت على زيارة القسرى لعله يحصل منه على مثل ما حصل عليه "الطَرماح" .

إلا أن صديقاً له يُدعى معاذ الهرا ، حذره ، وقال له :

لا تفعل فلست كالطرماح .. فإنه ابن عمه وبينكما بون شاسع .. أنت مصرى وخالد يمنى .. وأنت شيعى وهو أموى .. وأت عراقى .. وهو شامى !

إلا أن الكميت لم يقبل تحذير صديقه وأصر على أن يقصد خالداً .

ولم يعلم الكميت – كما يبدو – بأن خالد القسرى يضمر غلاً وكرهاً له بعدما كان قد سمع بهجائه لليمنيين – وهو واحد منهم فى نهاية الأمر – وكان قد أقسم بعد سماعه لذلك الهجاء ، أن يقتله ، ودبر له مكيدة لئيمة ، إذ اشترى ثلاثين جارية حسناء وحفّظهن شعر الكميت الذى يمدح فيه بنى هاشم ، ثم دفع بالجوارى مع نخّاس إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ، فاشتراهن هشام ، وعندما أنشدنه القصائد المذكورة استشاط غضباً وسألهن عن قائلها ، فقلن له إن قائلها اسمه الكميت .. وهو موجود بالعراق . فكتب إلى خالد القسرى ، عامله على العراق ، وطلب منه أن يرسل له رأس الكميت .

فى نفس ذلك الوقت ، كان الكميت فى طريقه إلى دار الإمارة ، ليقابل خالد القسرى ويفوز بدراهمه ، غير عابئ بنصيحة وتحذير صديقه مُعاذ الهرا .. وغير مدرك لما تخبئه له الأقدار .

وعند وصوله قال اليمنيون لخالد القسرى :

– قد جاءك الكميت الذى يهجونا بشعره ، ويفخر علينا بنسبه .

فأمر خالد القسرى بحبسه ، ولما علم صديقه معاذ الهرًا بما حدث ، أشار عليه فى رسالة بعثها إليه ، بأن يحتال فى الهرب ، لأن خالد القسرى سيقتله لا محالة .

وكانت امرأة الكميت تأتى لزيارته فى محبسه ، وتأتيه بالطعام ، ثم ترجع من حيث أتت . فلبس الكميت ثيابها وخرج وكأنه هى .. وهرب إلى الشام ، وفى الشام اتصل بمسلمة بن هشام ليشفع فيه عند والده الخليفة ، فشفعه مسلمة ، وحصل على الأمان .

ولما علم خالد القسرى بالأمر ، أراد أن ينكِّل بامرأة الكميت ، إلا أن قومها من بنى أسد اجتمعوا عنده ومنعوه من إيذائها ، وأمام إلحاحهم اضطر إلى إخلاء سبيلها .

بعد ذلك عُزِلَ خالد القسرى عن إمارة العراق ، ووضع فى السجن بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك (لأسباب لا تتصل بالكميت) . فعاد الكميت إلى العراق ، وتوجه لزيارة الوالى الجديد يوسف بن عمر الثقفى ، ومدحه بقصيدة تضمنت تعريضاً وذماً فى سلفه المعزول خالد القسرى . وكان الحرس المحيطين بيوسف بن عمر الثقفى مازالوا على ولائهم القديم لخالد القسرى ، فهجموا عليه وغرزوا سلاحهم فى صدره بحجة أنه أنشد الوالى قبل أن يأذن له بالإنشاد !

وهكذا كتبت نهاية شاعرنا الكميت بن زيد الأسدى وكانت أشعاره فى هجاء اليمنيين ، ثم فى هجاء خالد القسرى ، هى التى سطَرت تلك النهاية !.



المتنبّى

المتنبّى

على الرغم من أن ما يزيد عن ألف سنة ، تفصلنا عن المتنبى أشهر شعراء العربية بلا منازع – إلا أن شعره ما زال حياً نابضاً ، نردد بعضه ، مثلما نردد الحكم والأمثال القديمة .

والوقع أنه لم يحظ شاعر عربى – أو غير عربى ، جاهلى أو إسلامى أو أموى أو عباسى أو من عصرنا الحديث ، بمثل ما حظى به المتنبى من دراسات شملت حياته بكل دقائقها ، كما شملت شعره بكل سكناته وحركاته .

ولم لا وهو القائل :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى ... إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
فسار به من لا يسير مشمـــراً ... وغنـــى به مـــن لا يغنى مغـرداً
أجزنى إذا أنشدت شعراً فإنمـا ... بشعرى أتاك المادحـــون مـرددا
ودع كل صوت غير صوتى فإننى ... أنا الطاهر المحكى والآخر الصدى

قال هذا فى حضرة سيف الدولة الحمدنى ، أمير حلب ، ورأس الدولة الحمدانية التى بسطت نفوذها على شمال سوريا خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين .

وقد عاش المتنبى فى كنف سيف الدولة الحمدانى نحو تسع سنوات ، رافقه فيها فى حروبه ضد الروم والبيزنطيين ، وخصه بأروع مدائحه التى عرفت باسم "السيفيات" .

وكان بلاط سيف الدولة يزخر بالكثير من الفلاسفة والأدباء والشعراء ، أمثال الفارابى والببغاء والوأواء وأبو فراس الحمدانى وغيرهم .

وبالطبع إزداد شهرة ، كما إزداد ثراءً ، وهو يعيش فى كنف سيف الدولة الحمدانى .

وهو فى كل أحواله كان يعتز بشدة بنفسه وبشعره ، قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأننى خير من تسعى به قدم
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم
أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

وقال مفاخراً بفروسيته :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت فى الفلوات الوحش منفرداً حتى تعجب منى القور والأكم

هذا وذاك وغيره كثير ، مما يحفل به ديوان شعر المتنبى ، فى المديح وفى الفخر ، مما لا يتسع له هذه الصفحات القليلة ، والتى نخصصها للحديث عن مقتله بسبب أشعاره أو عن أشعاره التى تسببت فى مقتله أكثر مما نخصصها للحديث عن سيرة حياته وشعره .

فعلى الرغم من أن الهجاء لا يمثل ركناً أساسياً فى ديوان شعر المتنبى ، إلا أنه قد قتل بسبب أبيات من الشعر هجا بها أحد الأشخاص سنأتى على ذكره بعد قليل - الغريب أن هذا الشخص لم يكن ذا مكانة مرموقة أو ذا سلطة أو سلطان ، بل إنه كان شخصاً عادياً أو قل : قاطع طريق ، مطارد من الناس .

فهو كان قد هجا سيف الدولة الحمدانى أمير حلب ، كما هجا كافور الإخشيدى حاكم مصر . .

وهجا آخرين غيرهما ذوى شأن واعتبار ، إلا أنه لم يقتل

بسبب هجائه لهم ، وقتل بسبب هجائه لقاطع طريق ! . . وسبحان من له الدوام ! .

كان المتنبى قد قصد مصر بدعوةٍ من واليها كافور الإخشيدى (وكان كافور أحد مماليك الإخشيد الذى كان يملك زمام الأمر فى مصر ، والذى أسس فيها دولة مستقلة عن دولة الخلافة العباسية ، ثم تولى كافور الحكم بالوصاية بعد وفاة سيده سنة ٩٤٦ م ، ثم أصبح سلطاناً لمصر وسورية سنة ٩٦٥ م ، وكان يجمع حوله الأدباء والشعراء) .

وكان كافور الإخشيدى كما ذكرنا مملوكاً أو عبداً أسوداً خَصِيّاً مثقوب الأذن ، لكن المتنبى لم يكن يهتم بهذه الصفات ، فهو يبحث عن ولاية يتولاها يبدأ بها نواة دولة كبيرة (هكذا كان طموح المتنبى وهكذا كان وعد كافور له) .

وإذن فلا بأس من مدح كافور المملوك أو العبد ، إذا كان ذلك يحقق هدفه ، إلا أن كافور قد خذله وخيَّب أمله ، فأطلق المتنبى فيه لسانه يهجوه .

كان مما قاله :

أريك الرضى لو أخفت النفس خافياً ... وما أنا عن نفسى ولا عنك راضيا
أمينا وإخلافاً وغدراً وخسة ... وجبناً ، أشخصاً لحت لى أم مخازياً ؟!
تظن ابتساماتى رجاءً وغبطة ... وما أنا إلا ضاحكاً من رجائيا
وتعجبنى رجلاك فى النعل إننى ... رأيتك ذا نعل إذا كنت حافيا
وإنك لا تدرى ألونك أسود ... من الجهل أم قد صار أبيض صافياً

ويذكرنى تخييط كعبك شقة ... ومشيك فى ثوب من لزيت عارياً
ولولا فضول الناس جئتك مادحاً ... بما كنت فى سرى به لك هاجياً
فأصبحت مسروراً بما أنا منشد ... وإن كان بالإنشاد هجوك عالياً
فإن كنت لا خيراً أفدت فإننى ... أفدت بلحظى مشفريك الملاهيا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة ... ليضحك ربات الحداد البواكيا

كما قال أيضاً :

فلا تَرجَّ الخير عند امرىء ... مرت يد النخاس فى رأسه
وإن عراك الشك فى نفسه ... بحاله فانظر إلى جنسه
فقل ما يلؤم فى ثوبه ... إلا الذى يلؤم فى غرسه
من وجد المذهب عن قدره ... لم يجد المذهب عن قنسه

وقال وهو راحل عن مصر :

العبد ليس لحر صالح بأخ ... لو أنه فى ثياب الحر مولود
لا تشترِ العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد
ماكنت أحسبنى أحيا إلى زمن ... يسيىء بى فيه عبد وهو محمود
ولا توهمت أن الناس قد فقدوا ... وأن مثل أبى البيضاء موجود

كان هذا بعضاً مما هجا به المتنبى كافوراً ، وقد استطاع أن يرحل عن مصر دون أن يمسّه سوء .

وقبلها كن قد هجا سيف الدولة الحمدانى ، ولم يمسه منه أى سوء أيضاً .

السوء الذى مسّه ، أو مقتله كان بسبب قصيدة هجا بها رجلاً يسمى "ضبة بن زيد العتبى" وضبة هذا كان يقود حركة

القرامطة ، ويتحصن بحصن يقع إلى الجنوب الغربى من الكوفة ، جاعلاً الصحراء فى ظهره ملجأً فى حال الهزيمة .، ويبدو أن علية القوم وذوى الشأن فى الكوفة كانوا يتمنون القضاء عليه وعلى تمرده .

ويشاء القدر أن يلتقى المتنبى وبعض من أصحابه وهم يتنزهون بضبة، الذى كان يتجول بالقرب من حصنه مع بعض أتباعه وحدثت بين الطرفين مناوشات اقتصرت على الشتائم لأن السلاح بين الطرفين لم يكن كافياً . فى تلك المناوشات ، أحرز ضبة تفوقاً بالألفاظ القبيحة ، وكان لابد للمتنبى أن يدخل فى حلبة تلك المبارزة الكلامية من الشتائم والسباب . فأنشد قصيدته الهجائية (التى سنورد بعضاً منها بعد قليل) .

وكانت غاية فى البذاءة ، حتى أن المتنبى نفسه أنكر فيما بعد أنه قائلها .

غير أن المتنبى كما يبدو لم يكن متجنياً فيما ألحق بضبة من تهم وشتائم وما ذكره من حوادث مخجلة كانت تبدو وكأنها من نسج الخيال . فبعض ما أشار إليه المتنبى كان فى الحقيقة واقعاً فعلياً حدث لأم ضبة وأبيه ، حيث يُروى أن قوماً من أهل العراق كانوا قد قتلوا أباضبة وسبوا امرأته - أم ضبة - وفسقوا بها . وكان ضبة معروفاً عنه الغدر بكل من لجأ إليه أو استجار به .

كان مما قاله :

ما أنصف القوم ضبة ... وأمة الطرطبة
رموا برأس أبيه ... و....الأم غلبه

وما عليك من العـــا ... ر أن أمك قحبـه
وليس بين هلــوك ... وحرة غير خطبـة
وإنما قلت ما قلت رحمـ ... ـة لا محبـــة
وما عليك من الغدر إنـ ... ـما هي سبـــه
ومايشق على الكـــلب ... أن يكون ابن كلبه
ما ضرهـــا من أتاهـا ... وإنما ضرّ صلبـــه
يا أطيب الناس نفســاً ... وألين الناس ركبه
يا قاتلاً كـل ضيـــف ... غناه ضيح وعلبـة
كذا خلقت ومن ذا الـ ... ـذى يغالـــب ربه
ومن يبالى بـــذم ... إذا تعوّد كسبـــه
فسل فؤادك يا ضب أيـ ... ـن خلف عجبـــه
ما كنـــت إلا ذبابـاً ... نفتك عنـــا مذبّةً
وإن بعدنـــا قليـــلاً ... حملت رمحاً وحربـة
وقلت ليت بكفـــى ... عنان جرداء شطبـة
إن أوحشتك المعـالى ... فإنها دار غربـة
أو آنستك المخـــازى ... فإنها لك نسبـة
وإن عرفـت مرادى ... تكشفت عنك كربـه
وإن جهـــلت مرادى ... فإنه بك أشبـــه

والحياء العام يمنع من ذكر القصيدة كاملة لما تضمنته من أبيات احتوت جملاً ومعان فاضحة وكلمات نابية .

فلقد وصفه فى هذه القصيدة بمجموعة من الأوصاف المخزية والمثالب والنواقص ونسب له من الأفعال الناقصة ما هو مخجل وشنيع .

وكان طبيعياً أن يستثيره ويستثير كل أهله وأقاربه بهذا الهجاء الموجع ، وبسبب ذلك فقد بيتوا للمتنبى نية السوء وأزمعوا على الانتقام منه . وظلوا يتربصون به ، ويتحيّنون الفرصة لذلك ، إلى أن حانت لهم تلك الفرصة .

فقد كان المتنبى فى زيارة لسلطان الدولة البويهية : عضد الدولة . فى شيراز(بإيران) ، وفى طريق عودته منها ، مَرّ بواسط ، ومكث بضعة أيام فى ضيافة أبى نصر الجيلى ، الذى أبلغه بضرورة الاحتراز ، لأن عيون أعدائه ترمقه ، وخصوصاً "فاتك ابن أبى جهل الأسدى " خال ضبة الذى هجاه منذ سنة مضت .

واقترح أبو نصر الجيلى أن يرافق المتنبى مجموعة من الحراس يسهرون على سلامته . ولكن المتنبى رفض الاقتراح بشدة قائلاً بأنه لا يرضى أن يتحدث عنه الناس بأنه سار فى خفارة أحد غير سيفه .

وركب وسار ، فلقيه فاتك فى الطريق ، فأراد المتنبى أن ينجو بنفسه ، فقال له : غلامه ألست القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم ؟

فقال له المتنبي وفق مايرويه الرواة :

– قتلتني قتلك الله وكر راجعاً نحو مهاجميه فوقع قتيلا . .

وكأني به يقول وهو يلفظ أنفاسه :

مشيناها خطي كتبت علينا ومن كتبت عليه خطي مشاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

وهكذا كنت نهاية شاعر ملأ الدنيا بشعره ، وكان بحق أشعر شعراء العرب قديماً وحديثاً ! .



هُدبة بن خشرم

هدبة بن خشرم

خرج الشاعر هدبة بن خشرم فى رهط من قومه ، فى طريقهم من الشام إلى الحجاز ، قاصدين الحج ، وكان معهم زيادة بن زيد وهو من بنى رقاش بن مرة ، وكانت مع شاعرنا هدبة أخته فاطمة . رآها زيادة فتغزّل بها قائلاً :

عوجى علينا واربعى يافاطما ... ما دون أن يرى البعير قائماً
ألا ترين الدمع منى ساجماً ... حذار دار منك لن تلائما
فعرجت مطرداً عراهما ... فعماً يبذ القطف الرواسما

فغضب هدبة ، وردّ عليه بأن تَغزّل هو الآخر فى أخته ، وكانت تدعى أم خازم ، قال :

لقد أرانى والغلام الخازما ... نزجى المطى ضُمراً سواهما
متى تظن القلص الرواسما ... والجلة الناجية العياهما
يبلغن أم خازم وخازما ... إذا هبطن مستحيراً قاتماً

فلما سمع زيادة ما قاله هدبة ، سبّه ، فردّ عليه هدبة وسبه .. وطال بينهما السب والشتم وكادا يشتبكان بالأيدى ، إلى أن صاح بهم بعض من كان معهم :

– ما بالكما ؟! .. لا أراكما الله خيراً .. أأنتما حجاج ، تقصدون بيت الله ؟ ! ..

فسكتا وكلاً منهما يضمر لصاحبه بُغضاً وكرهاً فى نفسه .

وكان هدبة أشد غضباً وحنقاً على صاحبه زيادة ، فقد تغزّل زيادة فى أخته فاطمة ، وهى حاضرة : تسمع بينما تغزّل هو فى أم خازم أخت زيادة وهى غائبة : لاتسمع ! ، وهكذا نشأت العداوة بين شاعرنا هدبة وصاحبه زيادة .. ولم تنجلى تلك العداوة برغم أنهما حجّا معاً ! ... بل كان كلا منهما يقول فى صاحبه شعراً يهجوه به ، من ذلك ما قاله زيادة :

أراك خليلاً قد عزمت التجنبا ... وقطعت حاجات الفؤاد فأصحبا
فهلا صرمت والحبال متينة ... أميمة إن واشٍ وشى وتكذبا
إذا خفت شك الأمر فارم بعزمه ... غيابته يركب بك الحزم مركباً
يلام رجال قبل تجريب غيبهم ... وكيف يلام المرء حتى يجربا

وما قاله هدبة :

تذكر شجواً من أميمة منصباً ... تليداً ومنتاباً من الشوق مجلبا
تذكر حبا كان فى ميعه الصبا ... ووجداً بها بعد المشيب معتباً
إذا كان ينساها الفؤاد ذكرتها ... فيالك من عنى الفؤاد وعذبا
غدا فى هواها مستكيناً كأنه ... خليع قداح لم يجد متنشباً

وظل هدبة يتحين الفرصة للانتقام من زيادة ، حتى لاحت له تلك الفرصة ، فاستغلها وقتله .. وهرب مخافة القصاص ، وكان سعيد بن العاص والياً على المدينة ، فأمر بإحضار أهل هدبة ،

ولما حضروا حبسهم ، وعلم بذلك هُدبة فسارع إلى العودة وسلّم نفسه لسعيد بن العاص حتى يخلص أهله من حبسهم . فأرسله ابن العاص إلى معاوية ، خليفة المسلمين حينذاك ، ليرى فيه أمره . ولما صار هو وعبد الرحمن أخو زيادة بين يدى معاوية ، **قال عبد الرحمن :**

– ياأمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتى وقتل أخى وترويع نسوتى .

فالتفت معاوية إلى هُدبة ، **وقال له :**

– ما عندك فيما سمعت ؟!

فقال هُدبة :

رُمينا فرامينا فصادف رمينا ... منايا رجال فى كتاب وفى قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا ... وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فإن تك فى أموالنا لم نضق بها ... ذراعاً وإن صبراً فنصبر للصبر

فقال معاوية :

– أراك قد أقررت بقتل صاحبهم فأومأ هدبة وقال :

– هو ذاك !

وحيث أنه لم يكن لزيادة إلا فتى صغير يسمى " المِسْوَرْ " لم يبلغ الحُلم بعد وهو الأحق بدم أبيه . وفى نفس الوقت رفض عبد الرحمن أخى زيادة أن يقبل ديةً ، وأصرّ على القصاص ،

لذلك قضى معاوية بأن يُرد هدبة إلى المدينة ويحبس هناك ثلاث سنوات حتى يبلغ " المِسْوَر " الحُلم ، ويقرر بنفسه هل يقبل الديه أم القصاص ؟... ولما بلغ " المِسْوَر " ابن زيادة حلمه ، اصطحبه عمه عبد الرحمن وذهبا إلى سعيد بن العاص ، والى المدينة وطلبا منه أن يسلمهما هدبة ليقتصا منه .

وحين كان هدبة فى طريقه من السجن إلى المكان الذى اجتمع فيه القوم ليشهدوا تنفيذ القصاص فيه ، نظر إلى المجتمعين ، فرأى بينهم زوجته وكانت من أجمل نساء زمانها ، **فقال :**

أقلى علىَّ اللوم يــا أم بوزعــا ... ولا تعجبى مما أصاب فأوجعــا
ولا تنكحى إنْ فرّق الدهر بيننا ... أغم القفــا والوجه ليس بأنزعــا
وحلى بذى أكرومة وحميــة ... وصبراً إذا ما الدهر عض فأسرعا

فلما سمعت الزوجة منه ذلك ، التفتت إلى سعيد بن العاص ، والى المدينة ، **وقالت له :**

ـ إن لهدبة عندى وديعة ، فأمهله حتى آتيه بها .

فقال لها :

أسرعى فإن القوم قد أقبلوا وتزاحموا .

فذهبت وتوجهت إلى جزار فى السوق ، وأخذت منه سكينة ، ثم جدعت أنفها من أصله ، وقطعت شفتيها ، ثم

رجعت إلى هدبة **وقالت** :

– أترانى متزوجة بعد ما ترى ؟

فقال هدبة :

– الآن طابت نفسى بعد الموت .

وأراد سعيد بن العاص أن يبذل محاولة أخيرة ، فقال لعبد الرحمن أخى زيادة :

– اقبل الدية وأنا أعطيك مالم يُعط لأحد من العرب ، أعطيك مائة ناقة حمراء ، ليس فيها جدّاء ولا ذاتِ داء .

– والله لو ملأت لى قبتك هذه ذهباً ، ما رضيت بها بدلاً عن دم هذا الأجدع ... لقد قال بيتاً من الشعر ، ولم لم يقله لرضيت بالدية ، أو لصفحت بغير دية ..

قال :

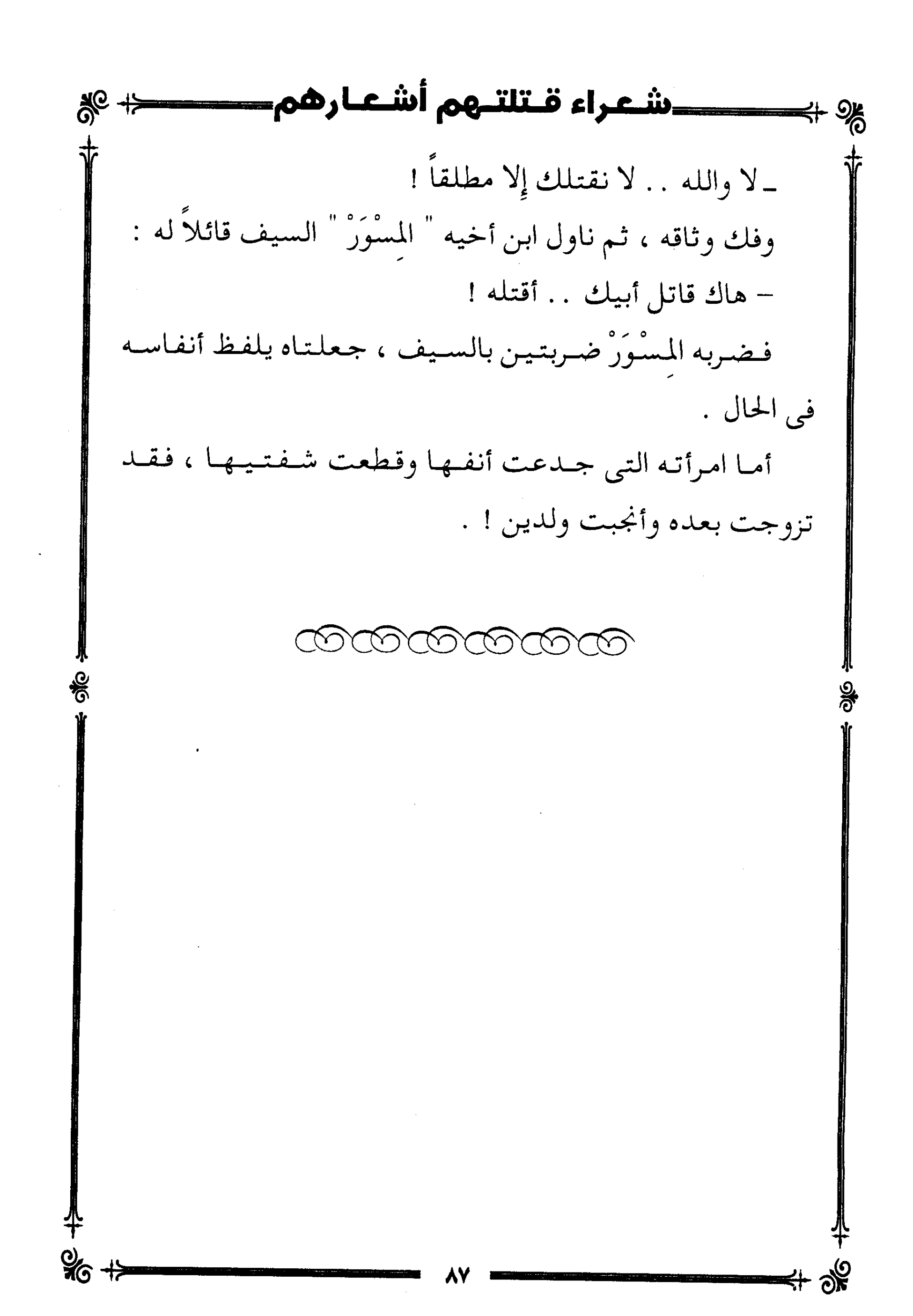
لنجدعن بأيدينا أنوفكمُ   ويذهب القتل بيننا هدراً

وقبل أن يُدفع به إلى القتل ، إستأذن فى أن يصلى ركعتين . فأذن له . فصلاهما سريعاً ، ثم التفت إلى الناس من حوله **وقال** :

لولا يُظن بى الجزع لأطلتهما ، فقد كنتُ مُحتاجاً إلى إطالتهما . ثم التفت إلى أهل زيادة وقال :

فإن تقتلونى فى الحديد فإننى   قتلت أخاكم مُطْلَقاً لم يقيدِ

فردّ عليه عبد الرحمن أخو زيادة :



ـ لا والله . . لا نقتلك إلا مطلقاً !

وفك وثاقه ، ثم ناول ابن أخيه " المِسْوَرْ " السيف قائلاً له :

– هاك قاتل أبيك . . أقتله !

فضربه المِسْوَرْ ضربتين بالسيف ، جعلتاه يلفظ أنفاسه في الحال .

أما امرأته التى جدعت أنفها وقطعت شفتيها ، فقد تزوجت بعده وأنجبت ولدين ! .



وضَّاح اليمن

وضّاح اليمن

هو عبد الرحمن بن إسماعيل .. لُقّب وضّاحاً لجماله وبهاء وجـــهــه وهو شـــاعــر حـــجـــازى من أصل يمنى ، أغلب أشعاره فى الغزل .

وبداية النهاية لحياته كانت يوم أن وقعت عيناه على (أم البنين) زوجة الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى فعشقها .. وهى أيضاً عشقته .

نظم فيها قصائد غزل رقيقة نذكر منها :

حتّام نكتـــم حبنـــا حتامـــا ؟ وعلام نستبقى الدموع علامـا ؟
إن الذى بى قد تفاقم واعتلـى ونمـــا وزاد وأورث الأسقـــاما
قد أصبحت أم البنين مريضـة نخشى ونشفق أن يكون حماما
يارب امتعنى بطول بقائهـــا واجبر بها الأرمال والأيتامـــا
واجبر بها الرجل الغريب بأرضها قد فارق الأخـوال والأعمامـا
كم راغبين وراهبيـــــن وبؤس عصموا بقرب جناحها أعصاما
بجناب ظاهرة الثنا محمــودةٍ لا يستطاع كلامهـــا أعظامـــا

وكان طبيعياً أن تصل تلك الأبيات إلى مسامع الوليد بن عبد الملك ، ويصل معها أيضاً أخبار العشق والغرام الملتهب المتبادل بين وضاح وبين أم البنين .

ويقرر الوليد بن عبد الملك بينه وبين نفسه التخلص من وضّاح فى هدوء شديد ! ..

كيف حدث ذلك ، فى الوقت الذى كان وضاح قد حظى

بمكانة مرموقة فى بلاط الخليفة ، وكان مقيماً به إقامة شبه دائمة ، وينال رضى وعناية الخليفة ذاته ؟ !

يحكى لنا الأصفهانى فى كتاب الأغانى أن أم البنين ، التى زاد تعلّقها بوضاح ، كانت ترسل إليه ، فيذهب إليها فى مخدعها، وكانت إذ ا خافت أن ينكشف أمرها معه ، وارته فى صندوق لديها وأقفلت عليه .

وذات يوم أُهدى للوليد بعض الجواهر الثمينة ، فدعا إليه خادمه وقال له :

- اذهب بهذه الجواهر إلى أم البنين وقل لها إن أمير المؤمنين يهديك هذه الجواهر التى أعجبته كثيراً .

فدخل عليها الخادم فجأة ، ورآها وهى تغلق الصندوق بعدما اختبأ فيه وضاح . فسلمها الجواهر وانصرف .

ورجع إلى الوليد وأخبره بما رأى . فنهره الوليد وكذّبه ، ثم أمر سيّافه بأن يقطع رقبته .

وانتقل على الفور إلى جناح أم البنين ودخل عليها دونما استئذان ، فرآها جالسة تمشط شعرها . فجال بنظره فى أرجاء المكان ، ثم اتجه نحو الصندوق الذى يختبئ فيه وضاح ، وجلس عليه (وكان الخادم قد وصفه له) ، ثم قال :

- هبى لى صندوقاً من هذه الصناديق ياأم البنين .

فقالت له :

- كلها لك يا أمير المؤمنين ! .

فقال :

- لا أريدها كلها . . أريد واحداً منها فقط !

فقالت :

– خذ ما شئت !

فقال :

– هذا ..

ونقر بأصبعه على الصندوق الذى كان يجلس فوقه .

فقالت :

– خذ غيره .. فإن هذا الصندوق به أشياء عزيزة علىّ ، ولا أستغنى عنه .

فقال :

– وأنا ما أريد غيره !

فقالت :

– خذه يا أمير المؤ منين .

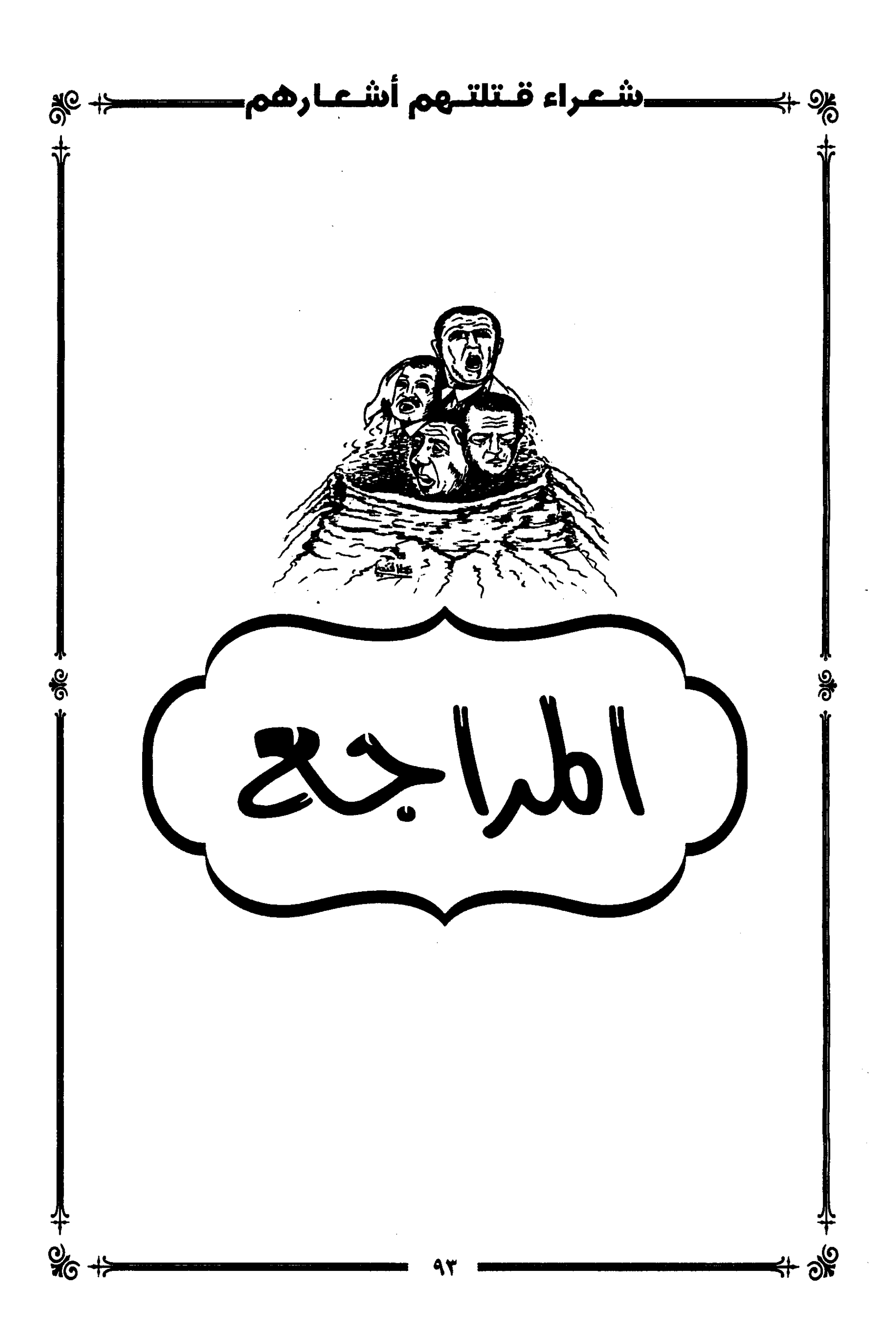
وفى الحال دعا بالخدم ، وأمرهم أن يزيحوا البساط ، ويحفروا فى الأرض ، مكان الصندوق ، وبحجم الصندوق .

وبعد أن أتموا الحفر ، أمرهم بأن يدفنوا الصندوق فى تلك الحفرة ويهيلوا عليه التراب ، ويفرشوا البساط كما كان ..

ثم قال مخاطباً الصندوق :

– يا هذا .. لقد بلغنا شيء .. إن كان حقاً فقد كفّناك ودفناك وقطعنا ذكرك ومحونا أثرك .. وإن كان باطلاً ، فقد دفنا الخشب .. ولا دائم غير وجه الله .

بعدها لم يُشاهد أثر لوضّاح اليمن ..



المراجع

المراجع

١ـ العمدة .... ابن رشيق القيـرواني

٢ـ الأغاني .... أبى الفرج الأصفهاني

٣ـ طبقات الشعراء .... ابن المعتز

٤ـ تاريخ الأدب العربي .... برو كلمان .

٥ـ خزانة الأدب .... البغدادى .

٦ـ معجم الشعراء .... المرزباني .

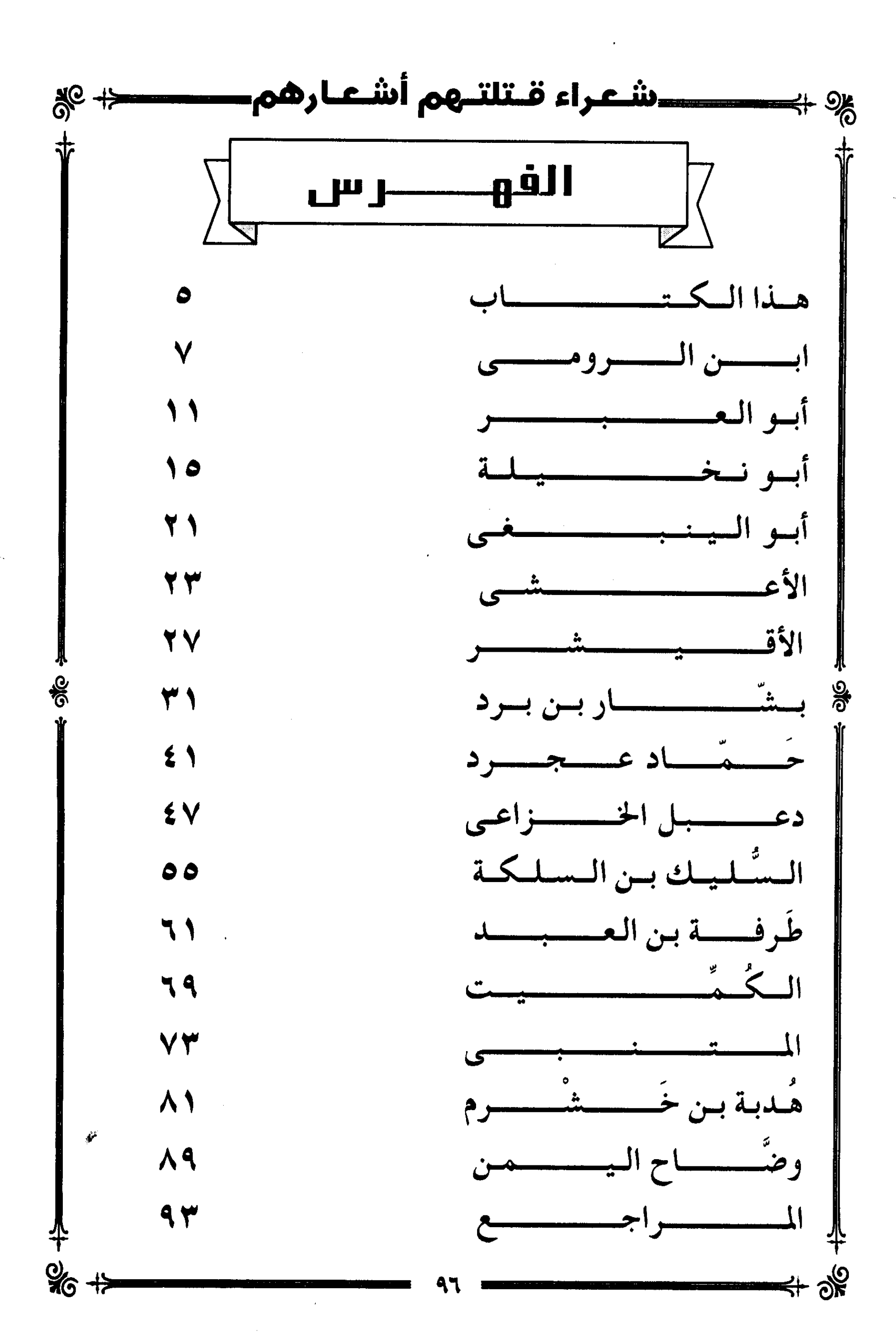
٧ـ وفيات الأعيان .... ابن خلكان .

٨ـ طبقات فحول الشعراء .... الجمحى .

٩ـ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى .... شوقى ضيف



الفهرس



الفهرس